البرهان

على صدق تنزيل القرآن

دكتور نبيل عبد السلام هارون

دار النشر للجامعات

الطبعة الأولى (البرهان العلمى للإسلام)

١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م

الطبعة الثانية ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م



دار النشر للجامعات

١٦ ش عدلى - ص . ب ١٣٠ محمد فريد - القاهرة

☎ ٣٩٣١٤٣٤ - تليفاكس : ٣٩١٢٢٠٩

البُرهان

علىٰ صِدقِ تنزيلِ القرآنِ

بسم الله الرحمن الرحيم

إهــداء

أهدى هذا العمل :

إلى القلة المؤمنة التى تحمل مشاعل الدعوة فى دياجير الضلال الذى يحيط بعالم القرن الخامس عشر الهجرى، برهانا ناصعا على صدق ما اهتدوا إليه، يثبت اليقين، ويشد الأزر، ويفحم الباطل وأهله.

إلى السواد الأعظم من المسلمين بالوراثة والتقليد، وببطاقة الهوية: الذين اتخذوا القرآن مهجورا، كمثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها، علهم يكتشفون مابأيديهم من كنز: كتاب لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

إلى جمهرة المنافقين والملاحدة أصحاب الصوت الأعلى فى هذا الزمان الذين إذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة، والذين يتنادون بأن لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه سعيا وراء فتنة المؤمنين والمؤمنات، وإطفاء نور الله الذى وعد بإتمامه ولو كره الكافرون، علهم يثوبون إلى الرشد ويتوبون إلى الحق.

إلى غير هؤلاء وأولئك على امتداد المعمورة، الذين لم يتح لهم أن يطلعوا على حقيقة الإسلام- فكرا منطقيا أونموذجا حيا- إلا من خلال إعلام مزيَّف وتعليم محرَّف وآراء مغرضة لقيادات فكرية وعقيدية نصبت أنفسها أربابا من دون الله، علهم ينصتون يوما بعقل مفتوح وصدر رحب وفكر علمى هادىء إلى دعوة الإسلام، عساها تكون لهم فرقانا بين ظلام الجاهلية ونور الهدى.

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم للأستاذ الدكتور صلاح الصاوى

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

أما بعد،،

فإن الحديث عن الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم حديث عن جانب متجدد من جوانب الإعجاز فى هذا الكتاب المبارك الذى لا تنقضى عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد، والذى أراد الله له أن يكون كتابه الأخير، وأن يحمل وحيه المحكم الذى تقوم به الحجة على عباده إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وينطفىء سراج الحياة!

لقد تعرفت البشرية على مدار القرون على جوانب مختلفة من جوانب الإعجاز فى القرآن الكريم غطت حاجات الناس فى زمانها، وكان فيها من البينات ما تقام بمثله الحجة وتنقطع به الشبهة، حتى كان هذا العصر الذى يمكن أن يطلق عليه عصر الكشوف العلمية ففاض المعين القرآنى بهذا الجانب المشرق المتجدد من جوانب الإعجاز لتقام الحجة على أبناء هذا العصر بمثل ما أقيمت به الحجة على أبناء القرون الأولى.

لقد قبل عقلاء العالم ومفكروه بالعلم حَكَما عدلا، لا يجامل أحداً، ولا تنحاز سننه إلى فريق من الناس دون فريق، فأنار الله بصائر فريق من أهل العلم ليتعرفوا من خلال تدبر آيات هذا الكتاب على حقائق ودقائق ما كان لأحد من الناس أن يتعرف على شئ منها فى زمن النبوة فمن ذا الذى أبلغ محمدا ﷺ بها وهو النبى الأمى الذى لا يكتب ولا يحسب، والذى كان يقول: الشهر هكذا وهكذا وهكذا؟؟!

ولقد رأينا عبر مسيرة البحث والتطواف فى هذا المجال كيف فتح الله به أعينا عميا، وآذانا صما، وقلوبا غلفاً، وكيف كان أكابر العلماء من غير المسلمين يتطامنون أمام حقائق الإعجاز المذهلة فى هذا الكتاب! ولا أزال أذكر كلمة لمدير مرصد طوكيو فى اليابان بعد حوار معه لم يزد على ساعة من الزمان قال فيها: إذا كان جميع المسلمين يفكرون بهذا المستوى فإننى أتوقع لهم أن يستردوا زمام الحضارة الإنسانية فى أقل من عشرين سنة!!

ولايخفى أن الناس أمام قضية الإعجاز العلمى فى القرآن والسنة طرفان وواسطة :

* فمنهم من فتح هذا الباب على مصراعيه بغير ضوابط، فلوى أعناق النصوص، لاهثا وراء كل جديد من العلم، ليفتعل إعجازاً، أو يتكلف برهانا.

* ومنهم من أغلق هذا الباب بالكلية، وصادر على أهل العلم حقهم فى ارتياد هذه الآفاق الجديدة، ففوت عليهم وعلى الدعاة كافة الإفادة من هذا الجانب العملاق والخلاق من جوانب الإعجاز.

* وبين هؤلاء وهؤلاء يقف أهل الوسطية والاعتدال، فيحكمون الضوابط التى تعصم من الزلل وتمنع من الشطط، ويفتحون عقولهم وقلوبهم لكل اجتهاد جاد فى هذا المجال فيناقشون ويقبلون أو يرفضون من خلال هذه الضوابط الدقيقة الصارمة؛ التى قدمت بها ورقة إلى المؤتمر العالمى الأول للإعجاز العلمى فى القرآن والسنة المنعقد فى إسلام آباد بباكستان سنة ١٩٨٧م، والتى قدم لها فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر، والتى تقرر فيما تقرر قيام الإعجاز على ثلاثة أركان :

الحقيقة الشرعية : وذلك ببلورة الجانب الشرعى وتمحيصه مع أكابر أهل العلم للتأكد من أننا أمام حقيقة شرعية.

الحقيقة الكونية : وذلك ببلورة الجانب العلمى للتحقق من أننا أمام حقيقة كونية وليس مجرد نظرية من النظريات قابلة للتغيير والتبديل.

وجه الإعجاز : وهو الربط ما بين الجانبين وفقا لضوابط الفهم والاجتهاد المقررة عند علماء الأصول.

وكتابنا هذا الذى نشرف بتقديمه اليوم والذى حبس نفسه على إعداده الأستاذ الدكتور / نبيل عبد السلام هارون إنما هو محاولة جادة لاستقراء النصوص القرآنية التى تتضمن بعض الإشارات والدقائق العلمية، وهو بهذا يفتح آفاقا أمام الباحثين لتدبر هذه الآيات والتعرف على ما تحمله من دقائق الإشارات.

والله من وراء القصد وهو الهادى إلى سواء السبيل

دكتــــور صــلاح الصـاوى

المدير الأسبق لهيئة الإعجاز العلمى

للقرآن والسنة – بمكة المكرمة

مقدمة الطبعة الثانية

بالقرآن إشارات وتعبيرات فى غاية الدقة، وكذلك تنبؤات بما هو آت، تتجاوز قدرة البشر وقت التنزيل وبعده بقرون، مما يقطع باستحالة صدورها عن مخلوق، وتبرهن على أن مصدرها خالق الكون العليم، القيوم عليه من الأزل إلى الأبد، ولاريب أن بين طيات القرآن مزيدا من عبارات لانفقه بعد مغزاها العلمى الحق، سيكشف تقدم العلم «كما كشف من قبل» ماوراءها من براهين تزداد بها الأجيال يقينا.

فى الفصول التالية نتناول بعضًا مما قرره القرآن أو أشار إليه من حقائق علمية وتاريخية - غمض كنهها عند نزول القرآن وبعده بقرون - ثم كشفها وأثبت صدقها تقدم العلم ووقائع التاريخ، لنبرهن بها على صدق تنزيل القرآن وبعثة الهادى الأمين.

تستمد الدراسة من معظم ماكتب عن المعارف العلمية فى القرآن والسنة، بعد مراجعة ماجاء بهذه الدراسات على أقوال المفسرين فى الماضى والحاضر، وتحقيق الجوانب العلمية، وبحث المعانى اللغوية، للاقتصار على تلك الجوانب التى ينطبق فيها المعنى اللغوى المباشر والتفسير المقبول للآية فى موضعها بالسورة على الحقائق العلمية التى استقرت بالملاحظة والتجريب وإجماع أهل الاختصاص العلمى واستبعاد كل ماعدا ذلك من اجتهادات، وقد ذيلنا الدراسة ببيان مراجع التحقيق، والمصادر التى تناولت موضوعات الدراسة من زوايا مختلفة وبمناهج ورؤى متباينة.

جعلنا الله من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وثبتنا وأهل الإيمان بالقول الثابت فى الحياة الدنيا بمواجهة أهل الكفر والضلال، ويوم يقوم الحساب، اللهم آمين.

نبيل عبد السلام هارون

٢٨ ربيع الأول ١٤١٧هـ

١٢ أغسطس ١٩٩٦ م

تمهيد

بســـــم الله الرحمن الرحيـــــم

تمهيد

المنهج العلمى والعقلى للرسالة

الإسلام خاتم الرسالات التى أرسلها الله تعالى هداية للعقل البشرى المحدود، فما من أمة سبقت على امتداد الزمان والمكان إلا كان لها من هداية الأنبياء والرسل نصيب، ولقد تدرجت وسيلة الإقناع وأسلوب الدعوة مع تطور المدارك والمعارف البشرية؛ فكان الله تعالى يؤيد رسله الكرام بما يجريه على أيديهم- بإذنه- من معجزات وخوارق حسية، يلمسها الناس بأيديهم وتراها أعينهم حتى يطمئنوا ويخبتوا لدعوة الحق، حتى آن للبشرية أن تدرك بالعقل الناضج والفكر المستنير ماكانت لا تدركه من قبل إلا بالحس والبصر، فأنزل الله كتابه العزيز: القرآن الكريم؛ متمما ومهيمنا على كل ماسبقه من كتب ورسالات، كتاب حجة وإقناع، ختمت به الرسالات، ثم صدق الله وعده فى حفظه- دون سائر الكتب- نبراسا هاديا إلى آخر الزمان، ومعجزة حية لكل الأجيال.

ت / ١ الإقناع العقلى:

العقل إذن هو محور الدعوة إلى الإسلام، وهو نسيج القرآن الذى بدأ تنزيله بدعوة ﴿ اقرأ ﴾، هتف بها الروح الأمين على النبى «الأمى»، حتى أذن الله باكتمال التنزيل وإتمام الرسالة فى قوله: ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا** ﴾ [المائدة: ٣]، وتعالوا نقتطف من رياض الذكر الحكيم آيات ناصعات تبرهن أن الإقناع العقلى والتفكير المنطقى ونبذ الهوى هو أساس دعوة الإسلام.

أ - ففى الحث على التفكير وإعمال العقل للاهتداء إلى الحق قال تعالى:

﴿ **أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ** ﴾ [الرعد: ١٩].

﴿ **أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الأَوَّلِينَ** ﴾ [المؤمنون: ٦٨].

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ [سبأ : ٤٦] .

﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ . الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ [الزمر : ١٧ ، ١٨] .

﴿ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴾ [الفجر : ٥] .

﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المؤمنون : ١١٧] .

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴾ [يونس : ١٠٨] .

ب – وفى الجدل بالحجة والبرهان اقرأ هذه الآيات :

﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّي إِلاَّ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ . وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ [يونس : ٣٥ ، ٣٦] .

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ نُفُورًا . قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لاَّبْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً ﴾ [الإسراء : ٤١ ، ٤٢] .

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٢] .

﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٤] .

﴿ وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ [الفرقان : ٣٣] .

﴿ أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا

بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النمل: ٦٤].

﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [النمل: ٩٣].

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [غافر: ٥٦].

﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ . أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾ [الطور: ٣٤، ٣٥].

جـ – وفى ضرب الأمثال كمدخل إلى الإقناع جاءت هذه الآيات:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ . تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ . وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ . يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ [إبراهيم: ٢٤ – ٢٧].

﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ . قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ . ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٢٧ – ٢٩].

د – وفى الحث على التأمل فى خَلْق الله وحكمته:

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ . الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١].

﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا

تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج : ٤٦] .

﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ [يوسف : ١٠٥] .

﴿ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ [المؤمنون : ٨٠] .

﴿ أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴾ [الروم : ٨] .

﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴾ [لقمان : ٢٠] .

﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ . إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس : ٨١، ٨٢] .

هـ - وفى الدعوة إلى النظر فى القرآن وتدبر آياته :

﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيراً ﴾ [النساء : ٨٢] .

﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ [ص : ٢٩] .

﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ [ق : ٤٥] .

﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الحشر : ٢١] .

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر : ١٧] .

﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد : ٢٤] .

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾ [الفرقان : ٧٣] .

و – وأخيراً فى شأن من صموا آذانهم وعطلوا عقولهم فضلُّوا السبيل، وجادلوا بالباطل:

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لا يَعْقِلُونَ . وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لا يُبْصِرُونَ ﴾ [يونس: ٤٢، ٤٣].

﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ١٧١].

﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً . أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾ [الفرقان: ٤٣، ٤٤].

﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية: ٢٣].

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴾ [الحج: ٣].

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴾ [الحج: ٨].

ت / ٢ تحرير العقل:

العقل المخاطب بالدعوة هو العقل «الحر» الذى يوازن بين الحق والباطل، بين الصدق والزيف، متحررا من كل المؤثرات النفسية والاجتماعية والعاطفية، التى كانت ومازالت تستعبد البشر وتلغى عقولهم فى كثير من المجتمعات والعقائد، فالإسلام ليس انتماء أعمى، وانقيادا مستكينا إلى طائفة أو كهنوت، أو جنس أو قبيلة، بل يؤكد ويلح على رفض الاتباع المنقاد للآباء والأجداد وكهنة الأديان، وأهل الاستبداد، كما تنطق الآيات الآتية:

أ – فى الدعوة إلى استقلال الفكر وتحريره:

﴿ مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ [الإسراء: ١٥].

﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ . وَقَالَ

الَّذينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٦، ١٦٧].

ب – وفى التحذير من تبعية الفكر لأهواء الزعماء والكبراء:

﴿ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ [إبراهيم: ٢١].

﴿ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ﴾ [غافر: ٤٧].

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ . إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ [هود: ٩٦، ٩٧].

﴿ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [هود: ٥٩].

جـ – وفى النهى عن الاتباع الأعمى للآباء والأجداد دون تمحيص واقتناع:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠].

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٤، ١٠٥].

﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٨].

﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ . وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن

قَبْلكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف : ٢٢ ، ٢٣] .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ [لقمان : ٢١] .

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلاَّ رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ مُّفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [سبأ : ٤٣] .

﴿ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٧٣] .

﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس : ٧٨] .

﴿ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ [هود : ٦٢] .

﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ [هود : ٨٧] .

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ . إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ . قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ . قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنبياء : ٥١ - ٥٤] .

﴿ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ . قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ . أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ . قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ [الشعراء : ٧١ - ٧٤] .

﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ [إبراهيم : ١٠] .

﴿ فَلا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُم مِّن قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴾ [هود: ١٠٩].

﴿ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ . فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴾ [الصافات: ٦٩، ٧٠].

ت / ٣- مكانة العلماء والعلماء:

ميز الله الإنسان على غيره من المخلوقات بالعلم، وبالقدرات العقلية على اكتسابه وتطبيقه، ومنها القدرة على الملاحظة والوصف والتحليل والتركيب والاستنتاج، وهذا مانوه به القرآن: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة: ٣١].

أ - والدعوة إلى العلم واكتساب المعارف العلمية تنبث في أرجاء الكتاب العزيز، ومنها هذه الآيات المباركات:

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: ١ - ٥].

﴿ نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ [القلم: ١].

﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

﴿ قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [البقرة: ٣٣].

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف: ٢٢].

﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ [يوسف: ١٠١].

﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: ٧٩].

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ . وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴾ [النمل : ١٥ ، ١٦] .

ب – وفى فضل العلماء ومكانتهم عند الله :

﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ [آل عمران : ٧] .

﴿ لَّكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أُوْلَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ١٦٢] .

﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الحج : ٥٤] .

﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ [سبأ : ٦] .

﴿ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤٣] .

﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ [الزمر : ٩] .

ت / ٤ السنن العلمية والكونية :

أساس العلم الحق أن الكون لم يخلق عبثًا، وأن لكل شئ سببا، وأن كل الظواهر الطبيعية ونظم الحياة وسلوك الجوامد وأحوال الأمم تخضع جميعها لقوانين صارمة وضعها الخالق العليم، وهو ماتؤكده آيات القرآن التى نزلت منذ أربعة عشر قرنا فى

بيئة لا أثر فيها لعلم أو فكر أو معرفة.

أ - ففي أن لكل شئ سببًا قال تعالى:

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٦].

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ . مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [الدخان: ٣٨، ٣٩].

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴾ [ص: ٢٧].

ب - وفي أن كل ما في الكون تحكمه قواعد وقوانين لا يحيد عنها (وانظر أيضًا الفصل الأول):

﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ [طه: ٥٠].

﴿ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ . وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ [الأعلى: ٢، ٣].

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً . ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴾ [الفرقان: ٤٥، ٤٦].

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٤٤].

﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان: ٢].

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: ٤٩].

﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴾ [الشورى: ٢٧].

﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾ [الرحمن: ٥].

﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴾ [الرحمن: ٧].

جـ – وفي سنن التاريخ التي لا تتبدل:

﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ﴾ [الرعد : ١١].

﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً ﴾ [الإسراء : ٧٧].

﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً ﴾ [الأحزاب : ٦٢].

﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً ﴾ [الفتح : ٢٣].

﴿ اسْتِكْبَارًا فِي الأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ سُنَّتَ الأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً ﴾ [فاطر : ٤٣].

ت / ٥ نبذ الخرافة:

وحفل القرآن والسنة النبوية بأقوال ومواقف تنبذ الخرافة وترفض الفكر الذى لا يستند إلى العلم والمنطق والدليل،فإيمان المسلم لا يستند إلى قصص وأساطير، أو طلاسم يحتكرها كهان، بل هو هو الحجة والدليل والبرهان.

أ – ففى بيان ما انزلقت إليه جماعات فى تصور الله الواحد قال تعالى:

﴿ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴾ [الأعراف : ٧١].

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف : ٣٣].

﴿ وَقَالَ اللَّهُ لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾ [النحل : ٥١].

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي

الأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴾ [النساء : ١٧١] .

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلاَّ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [المائدة : ٧٣] .

ب – وفى جهالة من ينسبون إليه تعالى البنين والبنات :

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴾ [البقرة : ١١٦] .

﴿ أَلا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ . وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [الصافات : ١٥١ ، ١٥٢] .

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [التوبة : ٣٠] .

جـ – وفى عبادة غير الله :

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ [الحج : ٧١] .

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُهُمْ وَلا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴾ [الفرقان : ٥٥] .

﴿ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلا حَيَاةً وَلا نُشُورًا ﴾ [الفرقان : ٣] .

﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ . وَلا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾ [الأعراف : ١٩١ ، ١٩٢] .

د – وفى عبادة الجن والملائكة :

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا

يصفون ﴾ [الأنعام : ١٠٠] .

﴿ وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون ﴾ [الصافات : ١٥٨] .

﴿ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون . وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون ﴾ [الزخرف : ١٩، ٢٠] .

﴿ فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون . أم خلقنا الملائكة إناثا وهم شاهدون . ألا إنهم من إفكهم ليقولون . ولد الله وإنهم لكاذبون . أصطفى البنات على البنين . ما لكم كيف تحكمون ﴾ [الصافات : ١٤٩ – ١٥٤] .

﴿ أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين . وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم ﴾ [الزخرف : ١٦، ١٧] .

هـ – وفي تأليه البشر :

﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ﴾ [التوبة : ٣١] .

﴿ وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب ﴾ [المائدة : ١١٦] .

﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير ﴾ [المائدة : ١٧] .

﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من

أنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

و – وفي اتخاذ الأوثان:

﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ . أَفَلا يَرَوْنَ أَلاَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا﴾ [طه: ٨٨، ٨٩].

﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَلا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ . وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٨، ١٤٩].

﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّىٰ . وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ . أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَىٰ . تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ . إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ﴾ [النجم: ١٩ – ٢٣].

﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ . وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٥، ٩٦].

ز – وفي الدعاء والتوسل بغير الله:

﴿يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُ وَمَا لا يَنفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ . يَدْعُو لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾ [الحج: ١٢، ١٣].

﴿فَلَوْلا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٨].

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣].

﴿ وَلا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [يونس: ١٠٦].

ح – وفى الاعتقاد بالسحر والتطير:

﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ . وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٠٢، ١٠٣].

﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣١].

– وفى الحديث: أن الشمس انكسفت عقب موت إبراهيم وليد النبى عليه الصلاة والسلام فقال ﷺ: « إن الشمس والقمر لا ينخسفان لموت أحد أوحياته، ولكنهما آية من آيات الله، فإذا رأيتموها فصلوا » (البخارى).

– وفى الحديث أيضا قوله ﷺ: « لا عدوى ولا طيرة ولاهامة ولا صفر . . »[1].
و: « لاعدوى ولا صفر ولاهامة . . . » (البخارى).

ط – وفى اتباع خيال الشعراء وشطحاتهم (إبداعاتهم!):

﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ . أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ . وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢٤ – ٢٢٦].

---

(١) الطيرة: أى التطير والتشاؤم بأشياء أو أشخاص أو أحداث معينة، وهو ضلال فى الفكر والتصور مازال شائعا فى كل المجتمعات المعاصرة. وكذلك التشاؤم بأوقات معينة كصفر أى التشاؤم بشهر صفر. أما الهامة فمن خرافات العرب فى الجاهلية إذ يزعمونها طائرا يخرج من هامة رأس القتيل ويقول: اسقونى اسقونى حتى يؤخذ بثاره.

ى – وفى الافتراء على شرع الله وتحريفه:

﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ . وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ . وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لاَّ يَطْعَمُهَا إِلاَّ مَن نَّشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ . وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ . قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ [الأنعام: ١٣٦ – ١٤٠].

﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [التوبة: ٣٧].

ت / ٦ – الإشارات العلمية:

أشار القرآن إشارات عامة إلى مجالات علمية متعددة تنبه الأذهان وتلفت الأنظار إلى مافى الكون من آيات ودلائل وإلى مافى خلق الله من إعجاز فى الصنعة وفى القدرة، وما فى الأرض من خيرات مسخرات لخير الإنسان، لو فقه علمها وأحسن الانتفاع بها. ولما كانت هذه الإشارات محور هذا الكتاب فنكتفى منها فى هذا التمهيد ببعض الأمثلة:

أ – فى خلق السموات والأرض وما فيهن:

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ١٦٤].

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الأَلْبَابِ . الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١].

﴿ إِنَّ فِي اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴾ [يونس: ٦].

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴾ [الروم: ٢٢].

﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ . وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴾ [الشورى: ٢٨، ٢٩].

﴿ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ . وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ . وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الجاثية: ٣ – ٥].

﴿ وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ . وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ . وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٠ – ٢٢].

ب – وفى تتابع الليل والنهار:

﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً ﴾ [الإسراء: ١٢].

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ [الفرقان : ٦٢].

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ . وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [القصص : ٧٢ ، ٧٣].

﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ [الأنعام : ٩٦].

جـ – وفى المطر والزراعة والأنعام :

﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ . فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ . وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ . وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام : ٩٥ – ٩٩].

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ . وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [الأنعام : ١٤١ ، ١٤٢].

﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ . يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل : ١٠ ، ١١].

﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل : ١٤] .

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحج : ٦٣] .

﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ [النمل : ٦٠] .

﴿ وَآيَةٌ لَّهُمُ الأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ . وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ . لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلا يَشْكُرُونَ . سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لا يَعْلَمُونَ ﴾ [يس : ٣٣ – ٣٦] .

﴿ وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ . تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ . وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ . وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ . رِزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴾ [ق : ٧ – ١١] .

﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ . وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ . وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلا يَشْكُرُونَ ﴾ [يس : ٧١ – ٧٣] .

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ . إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء : ٧ ، ٨] .

د – وفي السفن :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلامِ . إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [الشورى : ٣٢ ، ٣٣] .

﴿ وَالَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ . لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ

مُقْرِنِينَ ﴾ [الزخرف: ١٢، ١٣].

﴿ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ . وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية: ١٢، ١٣].

﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴾ [غافر: ٨٠].

هـ – وفى طيران الطيور:

﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴾ [الملك: ١٩].

ت / ٧– بين يدى الكتاب:

قبل أن نمضى فى مطالعة الكتاب، وتدبر مافيه من براهين علمية محددة لتكن لنا وقفة نتأمل فيها طبيعة النص القرآنى كظاهرة فريدة متميزة فى محتواها عن البيئة العربية الجاهلية التى بدأ تنزيله فيها، وسابقة لمعارف ذلك الزمان – القرن السابع الميلادى – فالأسلوب العلمى فى العرض والدعوة أعلى فكرا وأسمى بيانا من قدرات مبلغه الرسول الأمى الأمين، سواء فى منهج النص القرآنى فى مخاطبة العقل والمقارعة بالمنطق وتحرير العقل من التبعية الفكرية للآباء أو الكهان أو المجتمع، أو فى نبذ الخرافة، أو فى التفسير العلمى لنواميس الكون، أو فيما يتعرض له من مفاهيم وإشارات علمية، أو فى توجيهه العقول إلى اكتساب المعارف العلمية كمدخل للإيمان بالخالق الواحد وبصفاته التامة، وصولا إلى اليقين بصدق تنزيل القرآن.

كل هذه السمات القرآنية تقطع – لكل ذى بصيرة – باستحالة أن تكون هذه الرسالة من صنع بشر أمى فى بيئة أمية بدائية، وليست الأمية هنا أمية القراءة والكتابة فحسب – بل أمية المعارف والفكر، تلك الأمية التى سادت الزمان والمكان وقت التنزيل، لا فى الجزيرة العربية وحدها، بل فى أرجاء الأرض المعمورة ولقرون بعد عديدة.

الفصل الأول

إشارات علمية عامة

١ / ١ قوانين الوجود :

قال تعالى فى محكم التنزيل :

﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ . وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ . وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٥ – ٧][١].

﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ [الحجر: ١٩][٢].

﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد : ٨][٣] .

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر : ٤٩][٤].

﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١][٥].

---

(١) الحسبان : التدبير الدقيق (الوسيط)، والحساب؛ أى بحساب (اللسان)، أى أن حركة الشمس والقمر تجرى طبقا لنظام دقيق منذ خلقهما الله تعالى، ولم نتعرف على دقائق هذا النظام إلا حديثا، حوالى ٣٠ سنة؟ . . . بحسابات رياضية فى غاية العمق والدقة وخاصة فى حالة القمر (المنتخب) .

(٢) وزن الشئ: قدره (الوسيط) ومعنى موزون : القدر المعلوم وزنه وقدره عند الله تعالى (اللسان)، أى أن كل نبت . . . فى خلقه دقة وإحكام وتقدير (الظلال)، وتقرر هذه الآية حقيقة علمية لم تعرف إلا بعد الدراسات المعملية للنبات، وهى : إن كل صنف من النبات تتماثل أفراده من الوجهة الظاهرية تماثلا تاماً، وفى التكوين الداخلى نجد أن التناسق تام والتوازن دقيق فى كافة أجهزة النبات المختلفة، وكذلك بين الخلايا (المنتخب) .

(٣) كل شئ عند الله بمقدار وحساب صغيرا أو كبيرا (المنتخب) .

(٤) القَدَر : مقدار الشئ وحالاته المقدرة (الوسيط) لقد وصل العلم الحديث إلى أطراف من هذه الحقيقة . . . فى إدراك التناسق بين أبعاد النجوم والكواكب . . . ووضع الأرض لتكون صالحة . . . والعلاقة بين الأحياء وبين الظروف حولها (الظلال) .

(٥) أى ولا ننزله إلا حسب حاجة الخلق والمصالح كما نشاء ونريد (الصفوة) .

﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان : ٢][١].

﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٨].

﴿ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ [الزخرف : ١١][٢].

تؤكد الآيات مابينته المعارف الحديثة من أن كل شيء فى السموات والأرض يخضع لاتزان دقيق ومحسوب، فالاجرام السماوية تنطلق فى الفضاء بسرعات محسوبة فى اتجاهات مقدرة، بحيث يتزن تجاذبها مع قوى الطرد الناشئة عن حركتها، فتبقى بذلك فى مساراتها النسبية بعيدا عن بعضها البعض إلى أن يشاء الله، فالشمس - ببعدها المحسوب عن الأرض - تمدنا بالطاقة المحسوبة المناسبة لحفظ حياة الكائنات، ولو اقتربت الشمس قليلا من الأرض لاحترق كل من عليها، ولو ابتعدت قليلا لماتت الكائنات أو تجمدت، والقمر كذلك يؤثر على حركة المد والجزر فى البحار والمحيطات، ووضعه محسوب لو اقترب عنه زاد تأثيره على مياه البحر والمحيط حتى تغرق المعمورة.

ونظم الحياة على كوكب الأرض تحكمها توازنات دقيقة: فالهواء الذى نتنفسه يظل دائما بتركيبه المناسب لحياة الكائنات، فلايزيد فيه الأكسجين بلاحساب فتحترق الكائنات، ولايستهلك فتتوقف الحياة، وذلك بفضل عمليات التمثيل الكلوروفيلى بالنبات، التى تعيد لنا مايعادل ٤٠٠-٥٠٠ مليون طن أكسجين سنويا، تعوض تماما كل ماتستهلكه الكائنات الحية فى التنفس، وكذلك الغلاف الجوى بطبقاته المختلفة ومكوناته - كالأوزون وغيره - التى تؤدى دورا هاما فى

---

(١) قدَّر: تمهل وتفكر فى تسوية أمر وتهيئته (الوسيط) والتقدير: التروية والتفكير فى تسوية أمر وتهيئته (اللسان) قدر حجمه وشكله وقدر وظيفته وعمله وزمانه ومكانه وقدر تناسقه مع غيره من أفراد هذا الوجود الكبير... وينفى فكرة المصادفة نفيا باتا (الظلال)، وأثبت العلم الحديث أن كل الموجودات تسير وفق نظام دقيق (المنتخب).

(٢) الماء... فهو مقدر موزون لا يزيد فيغرق، ولا يقل فتجف الأرض وتذبل الحياة (الظلال)، أى بمقدار ووزن معلوم بحسب الحاجة والكفاية، قال البيضاوى: أى بمقدار ينفع ولا يضر (الصفوة).

حماية الحياة على الأرض يتجدد تركيبه دوما، أخذا وعطاء مع الهواء الجوى ومع الأشعة الكونية.

والكائنات الحية - برية وبحرية وطيورا وحشرات - يحكم بقاءها توازنات دقيقة تربط فيما بينها وبين الظواهر الجوية والجيولوجية والنباتية، ،وفى جسم الإنسان دور محسوب بدقة لمقادير كل عنصر من العناصر الكيميائية - حتى الشحيح منها - سواء فى ضبط الأكسجين فى الدم عن طريق التنفس، الذى تتحكم فيه مراكز إحساس على الشريان الأورطى والشرايين المتجهة إلى المخ فترسل إشارات عصبية تؤدى إلى الشهيق والزفير، أو فى ضبط نسبة الماء فى الدم، التى تتحكم فيها مجموعة من النظم المعقدة: من غدد العرق إلى الغدة النخامية التى تتحكم فى عمل الكلى للتخلص من الماء الزائد، كل هذه الاتزانات وغيرها تعبر عنها ماسقناه من آيات الذكر الحكيم أصدق تعبير.

١ / ٢ دورات الحياة :

لكل كائن حى- حيوانا كان أم نباتا - دورة حياة يتفاعل فيها مع التربة والماء والهواء وغيرها من الكائنات، فتأمل الإشارات البليغة إلى خروج الكائن الحى من الجماد الميت وإلى إبداء الحياة ثم إعادتها:

﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران: ٢٧](١).

﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٥].

﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ

---

(١) دورة الحياة والموت هى معجزة الكون وسر الحياة نفسها، والسمات الرئيسية أن الماء وثانى أكسيد الكربون والنتروجين والاملاح غير العضوية فى التربة تتحول بالشمس والنبات الاخضر وأنواع من البكتريا إلى مواد عضوية هى مادة الحياة فى الحياة والنبات، ثم الشق الثانى من الدورة... تحلل...وما تذكره الآية الكريمة هو الإعجاز بعينه (المنتخب)، ... وتتسع الدائرة فيموت الحي كله، ولكن خلاياه تتحول إلى ذرات تدخل فى تركيب آخر ثم تدخل فى جسم حى... وهكذا دورة دائبة فى كل لحظة من لحظات الليل والنهار (الظلال).

الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس : ٣١][1] .

﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ [الروم : ١٩][2] .

﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [العنكبوت : ١٩] .

﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ [يونس : ٣٤] .

﴿ أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [النمل : ٦٤] .

﴿ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴾ [البروج : ١٣][3] .

كما أثبتت المعارف الحديثة أن دورة الحياة فى الإنسان ترتبط بدورة العناصر المحيطة : فمن عناصر الأرض يتكون الإنسان، وعلى نتاجها يتغذى، ويتفاعل معها أخذا وعطاء فى عمليات التمثيل الغذائى والإخراج وتجديد الخلايا طوال حياته، ثم إليها يتحلل بعد مماته .

وهذه أمثلة لبعض دورات الحياة والموت :

(أ) دورة الخلايا الحية :

والتى تتمثل فى الاستهلاك ثم التجدد المستمر لخلايا الإنسان وغيره من الكائنات الحية، فالخلايا الحية تتحول إلى مواد غير حية (الميت من الحى) لتحل محلها خلايا جديدة (الحى من الميت)، مثال ذلك :

---

(١) وإن تحول الطعام الذى يموت بالطهى والنار إلى دم حى فى الجسم الحى، وتحول هذا الدم إلى فضلات ميتة بالاحتراق، لأعجوبة يتسع العجب منها كلما زاد العلم بها (الظلال)

(٢) وفى كل لحظة يجف عود أو شجرة . . . وفى كل لحظة تدب الحياة فى جنين . . . والجثة التى ترمى فى الأرض . . . هى مادة جديدة للحياة وغذاء جديد للنبات (الظلال) .

(٣) البدء والإعادة وإن اتجه معناهما الكلى إلى النشأة الأولى والآخرة، إلا أنهما حدثان دائبان كل لحظة . . . والكون كله فى تجدد مستمر وبلى مستمر (الظلال) .

الخلايا الجلدية تتجدد كل ٥٩–٧٥ يوما، خلايا الدم الحمراء كل ١٢٠ يوما، الصفائح الدموية كل ٧–١٠ أيام، كرات الدم البيضاء تتجدد كل ٦–١٢ ساعة.

(ب) دورة الكربون :

الكربون هو العمود الفقرى للمركبات العضوية، التى تتكون منها سائر الخلايا الحيوانية والنباتية، يعتمد الإنسان فى غذائه على الحيوان والنبات، بينما يعتمد الحيوان فى غذائه– بدوره– على النبات، ويحصل النبات على غذائه من الهواء الجوى بتمثيل غازى ثانى أكسيد الكربون وبخار الماء أثناء النهار من خلال عملية التمثيل الكلوروفيلى؛ وبذلك يتحول الهواء «الميت» إلى خلايا نباتية «حية»، يتغذى عليها الحيوان والإنسان لتكوين خلاياهم «الحية» من نواتج هضم الطعام «الميتة»، يتجدد ثانى أكسيد الكربون فى الهواء الجوى بعمليات التنفس فى الإنسان والحيوان و النبات «الميت من الحى» وبتحلل هذه الكائنات بعد موتها .

(ج) دورة النتروجين :

يدخل النتروجين فى تركيب الأحماض الأمينية، التى منها يتركب بروتين الخلايا الحيوانية الحية، يحصل الإنسان على البروتين من غذائه على الحيوان وبعض النباتات، ويتغذى الحيوان بدوره على البروتين النباتى، وبذلك يكون النبات هو المصدر النهائى للنتروجين فى الكائنات الحية، يحصل النبات على النتروجين من سماد الأرض الطبيعى أو الصناعى «الميت»، وينتج السماد الطبيعى «العضوى» من فضلات وتحلل الكائنات الحية فى التربة – حيث تتحلل بروتيناتها إلى نشادر تحوله البكتريا إلى نتريت ونترات أو إلى نتروجين جوى، أما السماد الصناعى فينتج بعمليات كيميائية من النتروجين الجوى.

(د) دورة الطاقة :

يستمد النبات طاقة الشمس ليصنع الغذاء الكربوهيدراتى والبروتينى فى صورة خلايا نباتية «حية»، تستمد منها خلايا الإنسان والحيوان حاجتها من الطاقة، ومن تحلل بقايا الكائنات الحية فى باطن الأرض منذ آلاف السنين نتجت سائر أنواع الوقود كالفحم والبترول والغاز الطبيعى «انظر ٨ / ٣ – الوقود» التى يستغلها الإنسان – مع مايقطعه من سيقان الأشجار– لإنتاج الطاقة.

١ / ٣ تطابق الخلق :

كل المخلوقات – حية وجامدة – تتركب من وحدات نمطية متطابقة، لاتختلف ولاتتفاوت مهما تعدد الخلق وتكرر، فكل ذرات الخلق حولنا تتكون من بروتونات موجبة ثابتة الكتلة والشحنة، ونيوترونات متعادلة ثابتة الكتلة، وإلكترونات سالبةثابتة الكتلة والشحنة – فى شتى العناصر والمواد، والمواد إما عنصرية «من نوع واحد من العناصر» أو مركبة، العناصر – فلزية أو غير فلزية – ذراتها جميعا متماثلة، وتترتب ذراتها فى أشكال هندسية متطابقة على مسافات وبزوايا ثابتة مهما تعددت ببلايين البلايين «السنتيمتر المكعب من الحديد مثلا يحوى حوالى ٨,٥× ١٠^٢٢ ذرة، أى ٨٥٠٠ مليون مليون مليون ذرة»، وكل مركب كيميائى يتركب باتحاد ذرات من عنصرين أو أكثر بنسب ثابتة وبتوزيع فراغى محدد وخواص مميزة ثابتة، وكل عضو من أعضاء الكائنات الحية – حيوانية أو نباتية – يتركب من أنواع محددة من الخلايا التى يتشابه كل منها فى التركيب التشريحى والكيميائى وفى الوظائف – مهما تعددت تلك الخلايا، وكل كائن حى يخلق وينمو ويتحلل بنفس النمط ونفس التشريح والوظائف لايحيد عنه قيد أنملة أى واحد من أفراده عبر الأجيال، وهذا ماقرره القرآن المعجز فى قوله تعالى :

﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ . ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾ [الملك : ٣، ٤][(١)].

١ / ٤ الزوجية العامة :

تشير الآيات القرآنية إلى أن المخلوقات عامة– حية أو جامدة «كل شيء» أزواج، أى أن ظاهرة الزوجية لاتقتصر على الحيوان والنبات، كما يتضح فى الآية :

﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الذاريات : ٤٩][(٢)] .

---

(١) تفاوت الشيئان : اختلفا فى التقدير، وتفاوت الخلق : اختلف ولم يكن سويا (الوسيط)، أى ما ترى اختلافا ولا اضطرابا (اللسان) .

(٢) العامة تخطئ فتظن الزوج اثنان، وليس ذلك من مذاهب العرب، إذ كانوا لا يتكلمون بالزوج موحدا فى مثل قولهم : زوج حمام، بل يثنونه فيقولون : عندى زوجان من الحمام، أى ذكر وأنثى، أو زوجان من الخفاف، أى اليمين والشمال، ويدل على ذلك أيضا قول الله تعالى : ﴿ وأنه خلق الزوجين =

والزوج لغة: النوع من كل شيء، والزوجان: اثنان أحدهما نقيض الآخر.

لو تأملنا مكونات الذرة لوجدنا للبروتون الموجب قرينًا سالبا: الأنتى بروتون، وفى الذرة المتعادلة: لكل بروتون إلكترون يعادله، والإلكترونات «السالبة» قرينها البوزيترون الموجب، بل إن النيوترون المتعادل له قرين «أنتى نيوترون»، ليس هذا فحسب بل إن للأجرام السماوية المرئية المنبثقة فى الفضاء اللانهائى يعتقد الآن أن لمادتها قرينا غير مرئي يطلق عليه اسم: المادة المظلمة، التى بمثابة الصورة السلبية لمادة الكون، والله أعلم «انظر أيضا موضوع ٤ / ٦: زوجية الكائنات الحية».

= الذكر والأنثى ﴾: اثنين، وقوله: «فاسلك فيها من كلّ زوجين اثنين»، وقوله تعالى: ﴿ ثمانية أزواج ﴾ المراد: ثمانية أفراد (اللسان)، وفى الآية حقيقة عجيبة تكشف عن قاعدة الخلق فى هذه الأرض. وربما فى الكون... وهى ظاهرة فى الأحياء، ولكن كلمة «شيء» تشمل غير الأحياء أيضا... وحين نتذكر أن هذا النص عرفه البشر منذ ١٤ قرنا فإن ذلك أمر عجيب عظيم (الظلال).

الفصـل الثـانى

فـى الكون

٢ / ١ تماسك الكون :

قال تعالى فى سورة الرعد :

﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾ [الرعد : ٢] .

﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ [لقمان : ١٠] .

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [فاطر : ٤١] .

أى أن قوى ميكانيكية غير مرئية ترفع الأجسام السماوية بعيدا عن بعضها بأمر الله، ومصدر هذه القوى الطاردة طاقة الحركة التى انطلقت بها الأجسام منذ انفصالها عن بعضها البعض لتعادل بها تأثير الجاذبية. الجاذبية بدورها قوى غير مرئية تؤثر على كل الأجسام المادية سواء كانت أجراما سماوية أو جسيمات نووية، ويختلف التعبير القرآنى فى هذه الآيات – مع دقته ووضوحه – كثيرا عن تصورات البشر فى الماضى القريب، حيث سادت خزعبلات عن طبيعة الأجرام السماوية والقوى التى تحكمها وتشدها إلى بعضها البعض.

٢ / ٢ أبعاد الكون :

كلما هدى الله الإنسان إلى مزيد من العلوم الفلكية كلما تفطن إلى الجديد من أوجه الإعجاز فى الإشارات الكونية بالقرآن الكريم، فقد أدرك الإنسان أن مواقع النجوم كلها مقدرة تقديرا بحساب دقيق:

﴿ فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ . وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ [الواقعة : ٧٥، ٧٦][(١)].

وفى مثل هذا المعنى أيضا :

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴾ [البروج : ١][(٢)].

وكل ما فى الكون من أجرام يسبح فى أفلاك :

﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣٣][(٣)].

﴿ لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [يس : ٤٠] .

والسباحة لغة هى : الحركة الذاتية : وهذا تصحيح للفلسفة اليونانية القديمة التى كانت تنادى بأن الشمس والقمر والكواكب كل مغروز فى أغلفة كروية شفافة حول الأرض– المركز المشترك للكون فى تصورهم.

الكون الذى يمتد إليه بصرنا « إلى أقصى مدى تتيحه وسائل الرصد » مترامى الأطراف حتى أن قطر مجرتنا– بما فيها من نجوم « أحدها الشمس » وكواكب وأقمار يبلغ حوالى ١٠٠٠٠٠ « مائة ألف » سنة ضوئية، أى يقطعه الضوء فى ١٠٠٠٠٠ سنة، أما أقرب المجرات « من ملايين المجرات فى الكون » فتبعد ٧٠٠٠٠٠ سنة ضوئية عن مجرتنا، فسبحانك ربى كما وصفت ذاتك :

﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ

---

(١) لم يكن المخاطبون (وقت نزول القرآن) يعلمون عن مواقع النجوم إلا القليل، أما فى هذا العصر فقد ظهرت معجزة القرآن (الصفوة)، وتبين الآيتان مدى أهمية هذا القسم العظيم، فلو كان بعد الشمس عن الأرض أقل أو أكثر مما هوَ عليه الآية فإن الحياة تصبح قاسية متعذرة ... وإذا ما اقترب نجم من النجوم من الشمس فإن ذلك يؤدى إلى اختلال فى التوازن وإلى الهلاك وإلى الفناء (المنتخب).

(٢) البرج واحد من بروج الفلك، وإنما قيل للبروج بروج لظهورها وبيانها وارتفاعها (اللسان)

(٣) الفلك : المدار يسبح فيه الجرم السماوى (الوسيط)، وتسبح فى الفلك : إذا جرت فى دورانها (السان).

علمه إلاَّ بمَا شَاءَ وَسعَ كُرْسيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] .

والأرض ليست كظن الأقدمين – محور الكون – بل هى كوكب تابع للشمس، أحد نجوم مجرة درب التبانة التى تضم قرابة ١٠٠ بليون نجم منتشرة فى الفضاء المتسع، يبلغ « أقصر » قطر لها كما ذكرنا ١٠٠٠٠٠ سنة ضوئية، ولما كانت سرعة الضوء ٣٠٠٠٠٠كم / الثانية، فإن هذا القطر يعادل حوالى ١٠^١٨كم « ١٠ أس ١٨ » « أى مليون مليون مليون كيلو متر »، وتقع الشمس على مسافة ٣٠٠٠٠٠ سنة ضوئية من مركز المجرة، وهذه المجرة بما فيها ماهى إلا واحدة من بلايين المجرات التى تموج بها السماء « المرئية » والتى توصلت أقوى مالدى البشر من تلسكوبات ووسائل رصد إلى تقديرها بأكثر من ٥٠٠ بليون مجرة، علما بأن هذه الوسائل لايمتد مجالها أكثر من ٥ بلايين سنة ضوئية فى الفضاء حتى الآن .

وتتفق هذه الحقائق العلمية تماما مع التعبيرات القرآنية فى وجهين:

أ – حيثما اجتمع ذكر السموات والأرض بصيغة العطف فى آية « ١٧٨ آية » جاءت السموات مقدمة على الأرض، وذلك فى مثل قوله تعالى :

﴿ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴾ [الأحقاف : ٣] .

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ [الزمر: ٦٨] .

عدا موضعين اقتضى فيها سياق الموضوع غير ذلك[١] .

ب – فى النصوص القرآنية أيضا مايشير إلى أن الحياة بصورها المختلفة ليست قاصرة على عالمنا الأرضى، بل ثمة صور مشابهة أومغايرة من صور الحياة فى كواكب أو

---

(١) مثل آية (إبراهيم / ٤٨) : « يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات » حيث اقتضى السياق الحديث عن تبديل الأرض غير الأرض ثم ذكر السموات أيضا، وكذلك الآية (طه / ٤) : « تنزيلا ممن خلق الأرض والسموات العلا » التى جاءت فى معرض تثبيت قلب النبى صلى الله عليه وسلم بأنه يتلقى الوحى من العزيز الحميد الذى خلق هذه الأرض التى عليها يحيا كما خلق السموات العلا على امتدادها .

عوالم أخرى :

﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلائِكَةُ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [النحل : ٤٩][١].

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء : ٤٤].

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴾ [الشورى : ٢٩][٢].

﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ ﴾ [الرعد : ١٥].

ويتفق ذلك أيضا مع صيغة الجمع : « العالمين » التى تنبث فى أرجاء الذكر الحكيم ابتداء من فاتحة الكتاب : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ إلى ٧٢ موضعا آخر . كما يتمشى مع ماجاء فى الحديث من دعاء الرسول عليه الصلاة والسلام :

« اللهم رب السموات السبع وما أظلت ورب الأراضين وما أقلت » (الترمذى) .

٢ / ٣ تطور الكون :

نقرر أولا أنه مهما تقدم العلم فلن يصل أبدا إلى القول الفصل فى كيفية نشأة الكون فى الماضى السحيق، ولكننا لا نغفل عن التطابق المذهل بين المعارف الفلكية الحديثة وبين ماقرره القرآن بوضوح تام، فقد أدرك العلم البشرى مؤخرا – بعون الله – أن الكون يتمدد باطراد منذ نشأته، وقد سجلت مؤخرا صور لأعماق الكون على مسافة ١٥ بليون سنة ضوئية، أى أنها تمثل ماكان عليه الأمر فى ذلك الزمان

---

(١) تسبق هذه الآية ركب العلم فى تقرير وجود أحياء تدب على بعض الكواكب فى مجموعتنا الشمسية أو خارج نطاقها، وهذا ما يحاول العلم الآن الوصول إلى حقيقته (المنتخب) .

(٢) ودع عنك تصور الأحياء الأخرى فى السماء ... هذه الأحياء التى تدب فى السماوات والأرض (الظلال)، ... ومانشر فيهما من الكائنات الحية المتخالفة فى الصور والأشكال (المفسر)، ... وما نشر فيهما من الدواب المرئية وغيرها ... (المنتخب)

السحيق، تشير الصور إلى تمدد فى مادة الكون بعد تمزقها إلى بلايين الأجزاء فى سحابة دخانية كبيرة - تلك التى كونت دقائقها فيما بعد الأجرام السماوية التى نراها الآن: نجوما انفصلت عنها كواكب وأقمار، أليس بمعجز ومثير للخشوع فى آن واحد أن يشير القرآن إلى هذه المفاهيم الثلاثة فى آياته التى نزلت منذ أربعة عشر قرنا ألا وهى :

أ - انفصال الأجرام السماوية عن جسم واحد :

﴿ أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٠](١).

ثم إعادة جمعها يوم القيامة :

﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

ب- نشأة الأجرام السماوية من دخان :

﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ [فصلت: ١١](٢).

---

(١) الرتق: المرتوق، من رتق الشئ رتقا: سده أو لحمه (الوسيط)، وارتتق اى التأم (الصحاح)، والرتق ضد الفتق (اللسان)، وفتق الشئ فتقاشقه (الوسيط)، والنظرية القائمة اليوم... أن... المجوعات النجمية كانت سديما ثم انفصلت (ورغم ان) هذه ليست سوى نظرية تقوم اليوم وقد تنقض غدا، ولكننا نتقبل النظريات الفلكية التى لا تخالف هذه الحقيقة المجملة التى قررها القرآن... السابق عليها بأجيال (الظلال)، وتقرر هذه الآية معانى علمية أيدتها النظريات الحديثة، وهناك نظريات عديدة كل منها تفسر بعض الظواهر وتعجز عن تفسير الأخرى، لذلك فليس بين هذه النظريات ما هو مقطوع به لدى العلماء بالإجماع (المنتخب).

(٢) إن نظرية الخلق تقول: إن المجرة كانت من غبار وغاز، ومن هذين تكونت بالتكثف النجوم، وبقيت لها بقية، ومن هذه البقية كانت السدم، ولا يزال من هذه البقية منتشرا فى هذه المجرة الواسعة (الظلال).

جـ- الاتساع المستمر للكون :

﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ [الذاريات : ٤٧](١) .

٢ / ٤ نسبية الزمن :

فكرة النسبية – التى اكتشفت فى العصر الحديث – أشار إليها الخالق العليم مرارا فى آيات معجزة تؤكد أن الزمن فى الكون نسبى :

﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [الحج : ٤٧](٢) .

﴿ تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [المعارج : ٤] .

﴿ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [السجدة : ٥](٣) .

اليوم الأرضى تضبطه دورة الأرض حول نفسها دورة كاملة فى زمن نسميه « يوماً » ونقسمه اصطلاحاً إلى ٢٤ ساعة، ثم إلى دقائق وثوان، بينما اليوم على كوكب الزهرة يعادل ١١٨ يوما أرضيا، وعلى كوكب عطارد = ١٧٦ يوما أرضياً، بينما يوم كوكب المشترى = ٩ ساعات و٥٥ دقيقة، ويوم كوكب زحل = ١٠ ساعات و٤٠ دقيقة، فى الفضاء على اتساعه إذاً لايصبح ليومنا الأرضى معنى ولا مغزى إلا لمن يعيش على هذا الكوكب، هنا أيضا اضطر السلف الصالح من المفسرين

---

(١) أوسع الشئ : صيره واسعا، (وأوسع الرجل : صار ذا سعة وغنى) (اللسان)، والتوسيع : خلاف التضييق (الصحاح)، وتشير الآية إلى معان علمية كثيرة منها اتساع السماء اتساعا لايدركه العقل... تقاس فيه المسافات بملايين السنين الضوئية، والآية تشير إلى تلك السعة المذهلة التى عليها الكون منذ خلقه، كما أنها تشير أيضا إلى أن التوسعة مستمرة على الزمن، وهو ما أثبته العلم الحديث أيضا، وعرف بنظرية التمدد التى أصبحت حقيقة علمية فى أوائل هذا القرن، وحاصلها أن السدم خارج المجرة التى نعيش فيها تبتعد عنا بسرعات متفاوتة، بل إن الأجرام السماوية فى المجرة الواحدة تبتعد بعضها عن بعض (المنتخب) .

(٢) يسبق القرآن بهذه الآية الكريمة ركب العلم بتقرير أن الزمن نسبى، وأن فكرة الزمن العالمى المطلق الذى كان يسلم به الأقدمون قبل نظرية النسبية هى فكرة خاطئة (المنتخب)

(٣) فأيام الأرض مقياس زمنى ناشئ عن دورة هذه الأرض حول نفسها أمام الشمس مرة... وهو مقياس يصلح لنا نحن أبناء هذه الأرض الصغيرة الضئيلة (الظلال) .

وقد غابت عنهم هذه المعارف إلى تفسير عبارة : وإن يوما عند ربك، وما شابه، بأن المراد أنه سبحانه وتعالى حليم لايعجل ، فمقدار ألف سنة عند خلقه كيوم عنده بالنسبة إلى حلمه (الصفوة) فصرفوا المعنى عن دلالته المباشرة الغائبة عن معارفهم، ومما يثير التأمل فى الآية الثانية ذلك الرقم (٥٠٠٠٠ سنة) إذ أن مجرتنا التى نعيش فيها (١٠٠ بليون نجم) يقدر أقصر قطر لها – من المركز إلى خارج المجرة – خمسين ألف سنة ضوئية أى أن الضوء وغيره من الموجات الكهرومغناطيسية والأجسام النوارنية عموما تستغرق هذا الزمن ذاته لتنطلق من مركز المجرة إلى الفضاء الكونى المحيط بها أو العكس، وهنا لايستطيع العقل والإدراك البشرى القاصر أن يستطرد فى الاستنتاج والتعليق والله أعلم.

ومن ناحية أخرى ليس ثمة تناقض بين الرقم ٥٠٠٠٠ فى الآية الثانية والرقم ١٠٠٠ فى الآيتين الأخريين، فبينما يشير الرقم الأول إلى رحلات للملائكة والروح مجهولة البداية مجهولة النهاية فى فضاء الله الفسيح، يشير الرقم الآخر مباشرة إلى نسبية الزمن فى الكون، وإلى اتساع أبعاده التى تقدر بآلاف السنين الضوئية.

٢ / ٥ التقويم :

الفرق بين التقويم القمرى والشمسى ١٠– ١١ يوما فى السنة، فالسنة الشمسية = ٣٦٥,٢٤٢٢ يوما، بينما السنة القمرية = ٣٥٤,٦٠٣٦ يوما، ومن هنا فإن ثلاثمائة عام شمسى تعادل تماما ثلاثمائة وتسعة أعوام قمرية= ١٠٩٥٧٣ يوما بلا نقص ولازيادة، وهنا تتجلى دقة إعجاز التعبير القرآنى فى قصة أهل الكهف.

﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴾ [الكهف : ٢٥][٤].

أى أنهم لبثوا ثلاثمائة سنة بالتقويم الشمسى تزداد تسع سنوات إضافية إن

---

(١) وإن تحول الطعام الذى يموت بالطهى والنار إلى دم حى فى الجسم الحى، وتحول هذا الدم إلى فضلات ميتة بالاحتراق، لأعجوبة يتسع العجب منها كلما زاد العلم بها (الظلال)

(٢) وفى كل لحظة يجف عود أو شجرة . . . وفى كل لحظة تدب الحياة فى جنين . . . والجثة التى ترمى فى الأرض . . . هى مادة جديدة للحياة وغذاء جديد للنبات (الظلال) .

(٣) البدء والإعادة وإن اتجه معناهما الكلى إلى النشأة الأولى والآخرة، إلا أنهما حدثان دائبان كل لحظة . . . والكون كله فى تجدد مستمر وبلى مستمر (الظلال) .

(٤) تشير الآية إلى حقيقة فلكية، أن ٣٠٠ سنة شمسية = ٣٠٩ سنة قمرية، وقد سبقت الآية (فى ذلك) علم الفلك (المنتخب) .

حسبت بالتقويم القمرى، والله أعلم بما لبثوا .

التقويم القمرى هو التقويم الطبيعي الذى ترتبط شهوره بظاهرة طبيعية هى تغير أوضاع القمر بشكل مطرد متكرر، أما غيره من التقاويم فأساسها وحدات « شهور » افتراضية لاعلاقة لها بظواهر طبيعية، صحيح أن السنة القمرية لاتتطابق مع السنة الشمسية التى فيها تتم الأرض دورة كاملة حول الشمس، إلا أن الأمر لم يكن كذلك يوم خلق الله السموات والأرض، لأن الأرض فى دورانها حول نفسها ظلت تبطؤ تدريجيا منذ خلقها، بتأثير التباطؤ الطبيعى « منذ انطلاقها منفصلة عن الشمس فيما يعتقد » إلى جانب تأثير جاذبية القمر على المد والجزر فى المحيطات، فازداد يومها طولا يوما بعد يوم، بمعدل سريع فى بداية الخلق حتى تناقص إلى معدل ضئيل « يزداد اليوم طولا بمقدار ٢× ١٠^-٨ ثانية كل مائة عام فى هذا الزمان »، ويعنى هذا أن الأرض حين خَلْقها « الذى يعتقد أنه حدث منذ حوالى ٥ بلايين سنة » كانت تنطلق بطاقة أعلى منها الآن سواء فى دورانها حول نفسها أو حول الشمس، وبالتالى كانت السنة الشمسية على الأرض أقصر منها الآن، ولابد أنها فى يوم من الأيام « لا نعلمه ولن نعلمه ولا نملك حسابه لأن معدل تقاصر حركة الأرض وتغيره عبر الزمان منذ النشأة مجهول » كانت مساوية للسنة القمرية، وينطبق هذا المنطق مع قوله تعالى :

﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة : ٣٦] .

نلاحظ فى هذه الآية التعبير : ﴿ **يوم خلق السموات والأرض** ﴾ وليس « منذ » خلقها، أى أنها كانت كذلك وقتها طبقا لحدود التعبير .

٢ / ٦ الشمس :

اكتشف العلم الحديث الصدق المعجز لآيات القرآن الكريم، تلك الآيات التى تصف الشمس بصفات حار فيها المفسرون والقدماء : كونها سراجا مشتعلا متوهجا – تقدر درجة حرارتها بقرابة ٦٠٠٠ْم عند السطح، و ٣٠ مليون درجة فى مركزها :

﴿ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴾ [النبأ : ١٣][١] .

وذلك بالمقارنة بالقمر المنير البارد الذى يقتصر دوره على دور المرآة العاكسة :

﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾ [نوح : ١٦] .

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴾ [الفرقان : ٦١] .

فصرف المفسرون القدماء معنى « السراج الوهاج » إلى أن المقصود به مجرد التشبيه، لشدة الضياء .

كما أشار القرآن إلى جريها المستمر فى الفضاء فى اتجاه محدد :

﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ [يس : ٣٨] .

والجرى لغة هو : الاندفاع والإسراع فى السير (المعجم الوسيط)، وقد تبين أن الشمس تجرى بسرعة ١٥٠٠كم / ثانية، بالنسبة للنجوم المجاورة لها فى المجرة، وتتم دورتها حول المركز فى حوالى ٢٠٠ مليون سنة، كما حددت الدراسات الفلكية ذلك الاتجاه الذى تجرى الشمس نحوه فى الفضاء. إن عظم الحركة بهذه السرعة الكبيرة لجسم بهذه الضخامة « ٣٣٣ ألف مرة قدر كوكب الأرض » يوضح إعجاز التعبير بالفعل « تجرى »، بينما مبلغ مايراه ويظنه الرائى فوق كوكبنا الأرضى : أن الشمس تتحرك ببطء وتؤدة من المشرق إلى المغرب .

ولكلمة « مستقر » مدلول زمنى أيضا، فى مثل قوله تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [لقمان : ٢٩] .

وكذلك عبارة : ﴿ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [الرعد : ٢][٢]،

---

(١) السراج : المصباح الزاهر (اللسان)، والمسرجة : ما يوضع فيها الفتيلة والدهن للإضاءة (الوسيط)، الوهاج : الشديد الوهج، من أوهج النار : أوقدها (الوسيط)، وتوهجت النار : توقدت (اللسان)، وفى « السراج » توقد وحرارة وضوء، وهو ما يتوافر فى الشمس واختيار كلمة « سراج » دقيق كل الدقة ومختار (الظلال)، وقد ثبت علميا ان درجة حرارة سطح الشمس المشع ٦٠٠٠° مطلقة، اما فى المركز فتزيد على ٣٠ مليون درجة . . . وتشع الطاقات فوق البنفسجية (٩٪) والضوئية (٤٦٪) والحرارية وتحت الحمراء (٤٥٪) ولذلك عبرت الآية بالسراج الذى يطلق الضوء والحرارة معا (المنتخب) .

(٢) (أيضًا فاطر : ١٣، الزمر : ٥) تشير إلى ان للشمس أجلا تنتهى عنده، وقد تكون كما يقول علماء الفلك ان الشمس تحرق وقودها من الهيدروجين إلى هليوم، وقد تكون نهايتها بكارثة كونية (المنتخب) .

ويتفق هذا مع ماهو معروف علميا أن كل النجوم؛ والشمس إحداها؛ تمر بمراحل متتالية إلى نهاية عمرها المحدود.

٢ / ٧ القمر :

من إعجاز القرآن فى العلوم الفلكية تناوله ما اكتشف فى الزمن الحديث من حقائق حول القمر، ومنها طبيعته كجرم بارد عاكس للضوء – خلافا لحال الشمس «السراج» مصدر الضوء :

﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا** ﴾ [الفرقان : ٦١][١].

﴿ **وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا** ﴾ [نوح : ١٦].

يتبدل شكل القمر «الظاهر لنا» من هلال إلى بدر وهلم جرا حسب أوضاعه «منازله» النسبية بالنسبة للشمس وللأرض كما تعبر عنه الآيتان الآتيتان :

﴿ **هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ** ﴾ [يونس : ٥][٢].

﴿ **وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ** ﴾ [يس : ٣٩].

القمر أصغر كثيرا من الشمس «قطره أصغر ٤٣٦ مرة» رغم مايظهر للرائى على سطح الأرض «يبدو قرص القمر ١,١٨ مرة قدر قرص الشمس»، وتعالوا نقرأ معا هذه الآيات من سورة الأنعام :

﴿ **وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ . فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ . فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ . فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ . إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾ [الأنعام : ٧٥ – ٧٩].

---

(١) أى أن الشمس سراج وهاج، أما القمر فينيربضياء الشمس المرتد من سطحه (المنتخب).

(٢) منازل القمر : مداراته التى يدور فيها حول الارض يدور كل ليلة فى أحدها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه (الوسيط)، وهى أوضاعه المختلفة بالنسبة للأرض والشمس وهى التى تنتج عنها أوجه القمر (المنتخب).

هذا إبراهيم عليه السلام يجول ببصره فى السماء لعله يهتدى إلى الخالق العظيم، الذى هو أكبر وأبقى من كل شيء، فيتدرج فى التفاته من الأدنى إلى الأعظم شأنا، فيبدأ بكوكب منير يراه صغيرا يظهر ليختفى، فيلتفت إلى القمر المنير وقد اتسق بدرا يملأ ضياؤه السماء، ولكنه هو الآخر لايستقر على حال، فينتقل ببصره وفكره إلى الشمس فيراها أكبر من القمر ومن الكواكب، هذا ماكان من شأن إبراهيم وتدرج فكره البشرى، أما النص القرآنى فقد أشار إلى الشمس فحسب بعبارة «أكبر» ولم يشر بذلك إلى القمر رغم أن قرصه الظاهرى أكبر قليلا من قرص الشمس وأكبر كثيرا من قرص الكواكب، ولكن الحكيم العليم منزل القرآن يعلمنا أن القمر أصغر من الشمس ومن أى كوكب من كواكب المجموعة الشمسية .

كما بينت آيات القرآن أن القمر التابع للأرض ليس هو القمر الوحيد فى الكون الذى يدور حول كوكب تابع له، إن ثمة أقمار توابع فى مجموعتنا الشمسية رصد العلم منها ٥٩ قمرا تدور حول: المشترى (١٦)، زحل (١٦)، المريخ (٢)، أورانوس (١٥)، نبتون (٨)، بلوتو (١)، غير مافى أنحاء المجرة وفى الكون على اتساعه من أقمار مصداقا للتعبير القرآنى الجامع :

﴿ **أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا . وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا** ﴾ [نوح: ١٥، ١٦].

إذ يبدو أن القمر فى هذه السموات المتعددة اسم لجنس القمر وليس لقمر معين.

٢ / ٨ الشهب :

فى دقة علمية معجزة يكشف القرآن عن كنه الشهب – وهو مالم يدركه البشر إلا حديثا – وأنها تنتج عن حركة الأجسام المادية بسرعة خلال الغلاف الجوى للأرض:

﴿ **وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ . وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ . إِلاَّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ** ﴾ [الحجر: ١٦ – ١٨].

وفى ذلك المعنى أيضا جاء فى سورة الصافات :

﴿ **إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ . وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ . لا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلأِ الأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ . دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ . إِلاَّ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ**

﴿فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات: ٦ – ١٠].

وفى سورة الملك:

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ٥].

كما أشار إلى الحقيقة الفلكية المذهلة وهى: امتلاء الفضاء بالشهب حتى إنه يقدر أن جو الأرض يدخله يوميا آلاف الملايين من الدقائق بسرعة قد تصل إلى ٢٧ كيلو مترا فى الثانية «لشهب وزنها ١ ملليجرام»، ولايمكن رؤيتها إلا بالتلسكوب، وسرعان مايتحول معظمها إلى بخار بالاحتكاك بالهواء، ومنها مايرى بالعين المجردة، كما يقدر مايسقط على الأرض بعد احتراقه بمقدار ٢٥٠٠ كيلو جرام يوميا، ولنقرأ فى سورة الجن:

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا . وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن: ٨، ٩].

ونلاحظ فى هذه الآية – على لسان الجن– أنهم فوجئوا بزيادة لم يعهدوها فى الشهب حتى كأنها ملأت سماء الأرض، وقد كشف العلم الحديث قرائن مؤكدة على أنه كان ثمة كوكب بين المريخ والمشترى، قد انفجر فى زمان بعيد، وتفتتت أشلاؤه لتسبح بلاهدى فى الفضاء، وتصيب كواكب المجموعة الشمسية، ويعتقد أن هذه الأشلاء وغيرها مازالت مصدرالشهب .

وإلى جانب الشهب تدور فى الفضاء أجسام على شكل مذنبات يعتقد أنها مادة ثلجية من ماء محمل بالشوائب مداراتها بيضاوية عالية الاستطالة، يقطع بعضها مدار الأرض كل عشرات السنين، أشهرها مذنب هالى، الذى يظهر كل ٧٦ سنة تقريبا ليختفى، آخرها عام ١٩٣٤، واقرأ قسم الله تعالى بها:

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ . الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ [التكوير: ١٥، ١٦].

والخنس: إشارة إلى كل مايختفى من كواكب ومذنبات .

الفصل الثالث

فـــى الأرض

٣ / ١ شكل الأرض :

استدارة الأرض حقيقة تنطلق بإعجاز من تعبير : « تكوير الليل على النهار، والنهار على الليل » كما جاء في سورة الزمر :

﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴾ [الزمر : ٥](١).

فما الذى يُكوِّر إن لم يكن جسما كرويا؟ ومما يذكر أن من المفسرين المسلمين، مثل البيضاوى والرازى، من استنبط من نص هذه الآية أن الأرض كروية — قبل توافر الأدلة والبراهين العملية على ذلك، والمعروف أن الأرض كرة غير تامة الاستدارة بل هى بيضاوية بعض الشىء، ويتفق هذا الوصف مع ماجاء فى سورة النازعات :

﴿ وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا . أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴾ [النازعات : ٣٠، ٣١].

من معانى الدحية : البيضة.

ومن ناحية أخرى أثبت العلم الحديث أن النسبة بين قطرى الأرض تتناقص باطراد، وربما كان ذلك بيانا لما يشار إليه فى القرآن بتعبير « نقص الأرض من أطرافها ».

﴿ بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ

---

(١) كوّر الشئ: لفه على جهة الاستدارة (الوسيط)، وتكوير العمامة : لفها وجمعها (اللسان) وهو تعبيرعجيب يقسر الناظر فيه قسرا على الالتفات إلى ما كشف حديثا عن كروية الأرض... وكلما تحركت بدأ الليل يغمر السطح الذى كان عليه النهار. وهذا السطح مكور فالنهار كان عليه مكورا والليل يتبعه مكورا كذلك... واللفظ يرسم الشكل ويحدد الوضع، ويحدد نوع وطبيعة الأرض وحركتها (الظلال).

أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الأنبياء : ٤٤][١] .

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [الرعد : ٤١][٢] .

وفى تفسير آخر للمقصود بنقص الأرض من أطرافها يرى بعض العلماء أنه إشارة إلى تباعد القارات والذى بدأ منذ كانت القارات كلها- فيما يعتقد- وحدة واحدة، ثم انشقت عن بعضها فى الزمن السحيق ونشأت بينها المحيطات الشاسعة واستمرت فى التباعد بمعدل بطىء مطرد حتى يومنا هذا، كما أن الشواطىء تتآكل وتتناقص باستمرار نتيجة عوامل متعددة، وفسره السلف من المفسرين بأنه إشارة إلى اتساع ديار المسلمين نقصا من ديار الكافرين، والله أعلم .

٣ / ٢ حركة الأرض حول نفسها :

تشير آيات عدة بعبارات دقيقة، إلى حركة الأرض المستمرة فى دورانها حول نفسها، ويأتى القرآن بعبارات علمية محددة المعنى دقيقة المدلول بيانها كالآتى :

أ - من عبارة التكوير :

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى أَلا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ [الزمر : ٥][٣] .

والتكوير لغة : اللى واللف وأصله من تكوير العمامة وهو لفها وجمعها، فتشير الآية بذلك إلى جسم كروى يدور، فيحدث بدورانه الليل والنهار .

---

(١) هذه الآية من آيات الإعجاز العلمى للقرآن الكريم فهى تشير إلى أن الأرض ليست كاملة الاستدارة، ولم يتمكن العلماء من قياس أبعاد الأرض بالدقة إلامنذ ٢٥٠ سنة تقريبا، . . . وتبين أن نصف القطر الاستوائى أكبر من نصف القطر القطبى بحوالى ٢١٫٥ كيلو متر (المنتخب)، وانظر تفسير الرعد / ٤١

(٢) تتضمن هذه الآية حقائق وصلت إليها البحوث العلمية الاخيرة، إذ ثبت أن سرعة دوران الأرض حول محورها وقوة طردها المركزى يؤديان إلى تفلطح فى القطبين وهو نقص فى طرفى الأرض، وكذلك عرف أن سرعة انطلاق جزيئات الغاز المؤلفة للكرة الأرضية إذا ماجاوزت قوة جاذبية الأرض لها فإنها تنطلق إلى خارج الكرة الأرضية،وهذا يحدث بصفة مستمرة فتكون الأرض فى نقص مستمر لاطرافها، لا أرض أعداء المؤمنين، وهذا احتمال فى التفسير تقبلة الآية الكريمة (المنتخب) .

(٣) انظر تفسير آية الزمر/ ٥ فى الهامش (١) صفحة ٥١ .

ب- من حركة الليل والنهار فى فلك :

﴿ **وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ** ﴾ [الأنبياء : ٣٣](١).

﴿ **لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ** ﴾ [يس : ٤٠] .

الفلك : المسار، مسار الشمس معروف، سواء مسارها النسبى بحركة الأرض، أو مسارها الفعلى فى مجرتها، ومسار القمر معروف كذلك فى دورانه حول الأرض فما مسار الليل والنهار؟ مسار الليل والنهار ماهو إلا حركة الأرض المنشئة لتتابع الليل والنهار، ويؤكد ذلك أن الفعل « يسبحون » جاء بصيغة الجمع وليست بصيغة المثنى « للشمس والقمر فحسب » .

جـ- سلخ النهار من الليل :

﴿ **وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ** ﴾ [يس : ٣٧](٢).

فالسلخ هو : إزالة غشاء من على سطح بفعل حركة تدريجية، الحركة هنا هى حركة الأرض، والغشاء السماوى المنير الذى ينسلخ بإدبار النهار وإقبال الليل هو : الغلاف الهوائى للأرض فى الجزء الذى كان مواجها للشمس، فهذا الغلاف الجوى يتلقى ضوء الشمس فيشتته « بفعل مايحمله من جزيئات وأيونات غازية » فينتشر فى أنحائه وتضيئ السماء ويعم الأرض الضياء طوال النهار، حتى تدور بعيدا عن مواجهة الشمس وهكذا دواليك : ضياء ثم انسلاخ، ثم ضياء ثم انسلاخ، أى أن الأصل فى الكون - كما بينته رحلات الفضاء - هو الظلام، أما النور فأمر عارض بفعل الغلاف الجوى وقدرته على نشر ضوء الشمس.

---

(١) الفلك : المدار يسبح فيه الجَرْم السماوى (الوسيط)، والسباحة : العوم، وسبح الفرس مد يديه فى الجرى (الوسيط)، والنجوم تسبح فى الفلك : إذا جرت فى دورانها (اللسان)، أى أن كل من الشمس والقمر والنجوم والكواكب والليل والنهار يجرون ويسيرون بسرعة كالسابح فى الماء (الصفوة) . . . كما أن دوران الأرض حول محورها يجعل الليل والنهار يتعاقبان عليها كأنهما يسبحان (المنتخب) .

(٢) سلخ الجلد : كشطه ونزعه، وسلخ الله النهار من الليل : كشفه وفصله (الوسيط)، ونسلخ . . . نكشف عنه النهار، مستعار من سلخ الشاة (المفسر)، تعبيرمصور للحقيقة الكونية أدق تصوير (الظلال)، . . . وفى الآية رمز إلى أن الأصل هو الظلام والنور عارض (الصفوة) .

وشبيه بذلك أيضا وصف الليل بأنه : « يغشى النهار » :

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٤] .

بينما الأقرب إلى تصور العامة أن ضوء النهار هو الذى يغشى الأرض عند ظهور الشمس .

د – من تجلية الشمس :

قال تعالى : ﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا . وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا . وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا . وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴾ [الشمس : ١ – ٤] .

يتبادر للعامة أن الأرض ساكنة تشرق عليها الشمس كل صباح فيتجلى كل شىء، أى أن الشمس هى التى تُجلّى وتظهر كل شىء فى النهار، ولكن الآية الكريمة تقول قولا آخر صريحا يتفق مع مايعرفه العلماء أن النهار « الناجم عن حركة الأرض » هو الذى يظهر الشمس ويجليها للناظرين، كما تعود الآية لتؤكد ما أشرنا إليه فى الفقرة السابقة عن « غشيان الليل » للشمس : أى حجبها نتيجة حركة خارجة عنها .

وفى نفس المعنى أيضا قال تعالىٰ :

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ [يونس : ٦٧] .

ومثلها فى سورة الإسراء :

﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً ﴾ [الإسراء : ١٢] .

أى أن من على وجه الأرض المواجه للشمس نهارا يبصر الشمس حتى يدور بعيدا عنها – بالمعنى الحقيقى – وليس – كما ذهب بعض القدماء – كناية عن إبصار الناس للأشياء .

هـ - من « الدحو » :

﴿ وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾ [النازعات : ٣٠](١).

فالدحو لغة : القذف من المقر مع المد والبسط والتوسيع فى السطح، ولابد أن ذلك قد حدث للأرض بصورة ما مع بداية انفصالها عن الشمس، وانطلاقها لتدور كالدحية حول نفسها- وقد أصبح شكلها بيضاويا بعض الشيء، لتظل مشدودة فى دورانها حول ذلك الجرم الضخم « الشمس= ١٠٩ مرات حجم الأرض » دورتها السنوية، كما تدور حول نفسها مرة كل يوم وليلة.

و - من «حركة الجبال » :

﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النمل : ٨٨](٢).

ذلك أن الأرض التى نحسبها ساكنة تتحرك بما تحمله من جبال وأثقال بسرعة ١٦٦٩ كيلو متر فى الساعة حول نفسها، و٥٣٦٢٤ كيلو متر فى الساعة حول الشمس، وقد انصرف ذهن الأقدمين فى فهم هذه الآية إلى « حركة مستقلة » للجبال يوم القيامة، حيث وقعت هذه الآية (٨٨) ضمن الآيات (٨٢) إلى (٩٠) من سورة النمل التى تكرر فيها ذكر القيامة، ولكن التعبير الصريح فى هذه الآية يتحدث عن « الإتقان » فى خلق وحركة الأرض، وليس عما يعتريها من خراب وأهوال يوم القيامة، ويدل على ذلك أيضا ماجاء فى الآية (٨٦) التى تتحدث عن نعمة خلق الليل والنهار :

﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [النمل : ٨٦](٣).

جاءت فى سياق آيات القيامة : تذكيرا للناس بنعم الله وفضله فى الدنيا،

---

(١) يقال : دحا الصبى المدحاة أى دفعها (الوسيط).

(٢) تقرر هذه الآية أن جميع الاجسام التى تخضع لجاذبية الأرض مثل الجبال تشترك مع الارض فى دورتها اليومية حول محورها والسنوية حول الشمس، . . . مما يبرهن أن هذا القرآن موحى به من عند الله (المنتخب)

(٣) ونسق العرض فى هذه الجولة (أواخر سورة النمل) ذو طابع خاص، هو المزاوجة بين مشاهد الدنيا ومشاهد الآخرة، والانتقال من هذه إلى تلك فى اللحظة المناسبة للتأثر والاعتبار (الظلال).

وحسابهم عليها فى الآخرة، وتكرُّر الانتقال بين مشاهد الآخرة وآيات الخلق أمر مألوف فى البيان القرآنى لربط الإيمان بالمشاهد المحسوس مع الغيب البعيد.

ز - من تعبير « المشارق » :

﴿ **وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ** ﴾ [الأعراف : ١٣٧].

﴿ **رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ** ﴾ [الصافات : ٥][١].

﴿ **فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ** ﴾ [المعارج : ٤٠][٢].

فالمشارق بصيغة الجمع: تعبر عن اختلاف وتوالى المشارق على امتداد الكرة الأرضية نتيجة لدورانها، ولو كانت الأرض ثابتة لكان ثمة مشرق واحد ومغرب واحد - زمانا ومكانا - لكل الأرض.

٣ / ٣ حركة الأرض حول الشمس :

رأينا كيف أن دوران الأرض حول نفسها ينشىء تعاقب الليل والنهار، كما تدور الأرض حول الشمس أيضا دورة كاملة كل عام، وكذلك تفعل بقية الكواكب « مع اختلاف زمن الدورة لكل كوكب »، ولما كان محور الأرض فى دورانها يميل ٢٣,٥ درجة عن المحور الرأسى فإن الشمس تكون أقرب مايمكن إلى خط الاستواء فى فصلى الربيع والخريف، بينما تكون أقرب إلى مدار السرطان شمالا فى فصل الصيف « صيف النصف الشمالى » وأقرب إلى مدار الجدى جنوبا فى فصل الشتاء، وبتعاقب الفصول يتغير الطول النسبى لليل والنهار كما هو معروف، فى الشتاء يطول الليل وتمتد ساعاته إلى ماكان - فى الصيف - من أوقات النهار، والعكس بالعكس، وتزداد هذه الظاهرة وضوحا كلما اتجهنا صوب المناطق الباردة شمالا، عبرت الآيات القرآنية تعبيرا علميا دقيقا عن هذه الظاهرة فى الآيات :

---

(١) وللتعبير « المشارق » دلالة أخرى دقيقة فى التعبير عن الواقع فى هذه الأرض التى نعيش عليها كذلك. فالأرض فى دورتها أمام الشمس تتوالى المشارق على بقاعها المختلفة - كما تتوالى المغارب... وهى حقيقة ماكان يعرفها الناس فى زمان نزول القرآن (الظلال)

(٢) شارة إلى التعدد اللانهائى لمشارق الأرض ومغاربها... فالشمس فى كل لحظة غاربة عند نقطة ومشرقة فى نقطة أخرى تقابلها (المنتخب).

﴿ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴾ [فاطر: ١٣][(١)].

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان: ٢٩].

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [الحج: ٦١].

﴿ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [الحديد: ٦].

﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران: ٢٧][(٢)].

ونلاحظ أنه لم تكن ثمة وسائل لقياس الوقت فى جزيرة العرب وقت نزول القرآن – كما أن جزيرة العرب لايتراوح فيها طول الليل والنهار تراوحا محسوسا بين الصيف والشتاء.

٣ / ٤ باطن الأرض :

أشار القرآن الكريم – قبل نشأة الجيولوجيا والتعدين بقرون – إلى ما فى داخل الأرض من معادن وثروات وطاقات مسخرة للإنسان خليفة الله فى الأرض، اقرأ قوله تعالى:

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا

---

(١) بطول ساعات أحدهما (الشتاء والصيف) وقصرها فى الآخر (المنتخب) حسب الفصول والأمصار.. (الصفوة)

(١) وسواء كان معنى إيلاج الليل فى النهار وإيلاج النهار فى الليل هو أخذ هنا من ذاك وأخذ ذاك من هذا عند دورة الفصول... فإن القلب يكاد يبصر يد الله وهي تحرك الأفلاك (الظلال).

تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الحديد : ٤][١].

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾ [فاطر: ٢٧].

﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴾ [طه : ٦][٢].

ولعل ماجاء فى سورة الزلزلة، فى معرض الحديث عما يعترى الأرض من أهوال يوم القيامة، إشارة إلى مايحمله باطن الأرض العميق من أثقال :

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا . وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾ [الزلزلة : ١، ٢][٣].

فمن أدرى محمدا صلى الله عليه وسلم بما فى قلب الأرض من أثقال، إن غاية ماكانت تعرفه البشرية عما فى باطن الأرض- فى ذلك الزمان- هو ماقد يكون من بئر ماء هنا أو هناك.

٣ / ٥ الجبال :

من الثابت أن للجبال دورا بالغا فى تثبيت القشرة الأرضية، وكبح مابداخلها من مصهورات وأبخرة؛ وفى موازنة تأثير الوديان وقيعان المحيطات، ولولاها لتعرضت الكرة الأرضية إلى اضطرابات لايعلم إلا الله مداها أو منتهاها.

تتركب القشرة الأرضية من طبقة صلبة تمتد إلى عمق ٣٠-٤٠ كم، وهذه الطبقة هى التى نعرف عنها الكثير من خلال الدراسات الجيولوجية، ونستثمرها فى تعدين الخامات، وبالقشرة الأرضية طيات وتصدعات تكونت نتيجة الانكماش الشديد للقشرة الأرضية أثناء تجمدها، وتمثل هذه الطيات والتصدعات مناطق عدم استقرار شديدة الحساسية لتحركات المصهورات والأبخرة فى باطن الأرض، وهى مصدر الزلازل ومخارج البراكين، ومن هنا كان بروز الجبال- كامتدادات رأسية ثقيلة- معادلا ومخففا للإجهادات الناتجة عن هذه الطيات، تأمل الإشارة المعجزة إلى هذه التصدعات فى عبارة :

---

(١) ما يدخل فيها من مطر وأموات، وما يخرج منها من معادن ونبات وغير ذلك (الصفوة)

(٢) (طه : ٦) ما تحت الأرض من معادن ومكنونات (الصفوة)

(٣) (الزلزلة : ١-٢) وتخرج ما يثقلها من أجساد ومعادن . . . (الظلال)

﴿ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴾ [الطارق : ١٢] .

ومن ناحية أخرى فإن دوران الأرض حول نفسها ثم دورانها حول الشمس فى فلك مائل على محور الأرض بكل ماتحمله الأرض من أثقال ومصهورات ومناطق اضطراب، هذا الدوران أيضا كان كفيلا ببثت الاضطراب فى هذا الكوكب لولا دور الجبال ككتل موزعة هنا وهناك على امتداد القشرة الأرضية، ولنتأمل الآن تأكيد الذكر الحكيم لدور الجبال فى ترسية الأرض :

﴿ وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [النحل : ١٥] .

﴿ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلاً لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣١][١] .

﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ [لقمان : ١٠] .

الجبال نوعان : « جبال نارية » ارتفعت نتيجة تقبض القشرة الأرضية أثناء تجمدها، فامتدت جذورها—كالأوتاد – بعمق القشرة الأرضية حتى الأعماق المصهورة التى لم تتجمد، فتحول دون انزلاق الطبقات أو انجرافها؛ و« جبال رسوبية » تكونت بالترسيب المتوالى مما تحمله المياه التى كانت تغمر العالم فى الماضى السحيق، فألقت حمولتها الصلبة تدريجيا، وربما كان استخدام القرآن الكريم للفظى « جعل » أحيانا و« ألقى » أحيانا أخرى للتعبير عن خلق الجبال تمييزا مقصودا بين هذين النوعين :

﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا . وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾ [النبأ : ٦ ، ٧] .

﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴾ [فصلت : ١٠] .

---

(١) ماد الشئ: تحرك واضطرب (الوسيط)، وقال ابن العباس فى قوله تعالى: « أن تميدبكم »، فقال: تحرك بكم وتزلزل، وفى حديث على: فسكنت من الميَدَان برسوب الجبال (اللسان)، وهى رواسى ذات جذور ممتدة إلى أعماق كبيرة تتناسب مع ارتفاعها، فكأنها أوتاد . . . كما أثبت العلم الحديث أن أسفل الجبال دائما هش خفيف، وأسفل المحيطات توجد المواد ثقيلة الوزن وبذلك تتوزع الأوزان (المنتخب)

﴿ وَجَعَلْنَا فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلاً لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُون ﴾ [الأنبياء: ٣١].

﴿ أَمَّن جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [النمل: ٦١].

﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الرعد: ٣].

﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا ﴾ [المرسلات: ٢٧].

ونلاحظ هنا أن الآية الأولى تشير إلى امتداد هذه الجبال «النارية» فى الأرض كالأوتاد، بينما جاءت الآية الثانية فى معرض الحديث عن المراحل الأولية لتكوين الأرض فى بداية الخلق.

أما الجبال «الرسوبية» التى تكونت بإلقاء الرواسب فيشار إليها بلفظ «ألقى» فى الآيات:

﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ [لقمان: ١٠].

﴿ وَأَلْقَىٰ فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلاً لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [النحل: ١٥].

﴿ وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴾ [الحجر: ١٩].

﴿ وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ [ق: ٧].

إشارة إلى عملية الترسيب التى كونت ذلك النوع من الجبال.

٣ / ٦ سماء الأرض:

وصفت السماء التى تعلو كوكب الأرض بأكثر من وصف علمى معجز منها: أنها طباق تملأ الفضاء، وليست مجرد لوحة مستوية أو قبة مرصعة بالنجوم والكواكب

كما كان يتبادر للإنسان البدائى قبل الكشوف العلمية، وقد جاءت السماء فى مواضع مختلفة للتعبير عن هذه الطباق المتعددة كما فى قوله تعالى:

﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴾ [الملك: ٣][١].

﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴾ [نوح: ١٥].

﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴾ [النبأ: ١٢].

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٧][٢].

وقد يقصد بالطباق هنا: طبقات الكون الفسيح بامتداد النجوم فى المجرات، والمجرات فى الفضاء اللانهائى[٣] وهو مانرجحه والله أعلم، وقد يقصد به طبقات الغلاف الجوى المحيط بالأرض[٤].

---

(١) السماوات السبع لا يمكن الجزم بمدلولها، استقاء من نظريات الفلك، فهى قابلة للتعديل والتصحيح، كلما تقدمت الوسائل، ولا يجوز تعليق مدلول الآية بمثل هذه الكشوف، . . . ويكفى ان نعرف أن هناك سبع سماوات، وأنها طباق بمعنى أنها طبقات على أبعاد متفاوتة (الظلال).

(٢) الطريق: السبيل يذكر ويؤنث (الصحاح)، وفى (اللسان) أطرق عليه الليل: ركب بعضه بعضا (اللسان)، وقد يكون المقصودهنا سبع مدارات فلكية، أو سبع مجموعات نجمية كالمجموعة الشمسية، أو سبع كتل سديمية. . . (الظلال)

(٣) إن كان المقصود سماء الكون فلعل السموات السبع هى على الترتيب: ١- الغلاف الجوى للأرض، ٢ - الفضاء المحيط بالأرض الذى يسبح فيه القمر مشدودا بجاذبية الأرض وتابعا لها. ٣ - فضاء المجموعة الشمسية الذى تسبح فيه الكواكب حول الشمس، ٤ - المجال الذى تجرى فيه الشمس بمجموعتها داخل المجرة، ٥ - الفضاء الذى تشغله مجرة درب التبانة متحركة فى الفضاء الفسيح، ٦ - فضاء الكون المرئى بما فيه من آلاف المجرات، ٧ - الفضاء اللانهائى الذى لم تزل تنطلق فيه المجرات متباعدة عن بعضها موسعة للكون باطراد إلى ماشاء الله، أو لعلها سبع مجموعات تنتظم فيها آلاف المجرات مما نرى ومما لانرى (المؤلف).

(٤) إن كان المقصود بالطباق طبقات الغلاف الجوى فإنها تختلف عن بعضها البعض فى الترتيب وفى تدرج درجة الحرارة بها، أدنى الطبقات هى التروبوسفير، التى تمتد فوق رؤوسنا حتى ارتفاع ١٠-١٢ كيلومترا، وفى هذه الطبقة الأولى تنخفض الحرارة باطراد مع الارتفاع. يعلو هذه الطبقة طبقتان يطلق عليهما مجتمعتين الستراتوسفير: الطبقة الأدنى حتى ارتفاع ٢٠ كيلو مترا تتميز بدرجة حرارة ثابتة بينما تزداد الحرارة مع الارتفاع فى الطبقة الأعلى حتى ارتفاع ٤٥-٥٠ كيلو مترا، أما الطبقة الرابعة «الميزوسفير» فتعود فيها الحرارة للانخفاض باطراد حتى ارتفاع ٨٠-٨٥ كيلو مترا، وهنا ينعكس =

سواء كان الغلاف الجوى هو المقصود بالطباق السبع، أو كانت سماء الكون على امتدادها هى المقصودة، وسواء كان الرقم « سبعة » مقصود لذاته أو كان كناية عن التعدد، فإن الحقيقة القرآنية قائمة وماثلة ومحققة: إن كل ما يعلو الأرض من سماء أو سموات إنما هو طبقات فوق طبقات. وصدق الله العظيم الذى وصف هذا التركيب العظيم المحكم « بالبناء »:

﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٢].

﴿ أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا . رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ﴾ [النازعات: ٢٧، ٢٨].

﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴾ [النبأ: ١٢].

ومن الأوصاف الأخرى المعجزة للغلاف الجوى « السماء » وصفه بلفظ ﴿ **ذات الرجع** ﴾ أى ترجع بخار الماء مطرا، وترجع الأجسام بالجاذبية، وترجع الأمواج اللاسلكية بانعكاسها من طبقة الأيونوسفير، كما ترتد منها الأشعة الحمراء فتدفىء الأرض ليلا، وترجع بخار الماء من المسطحات المائية مطرا تكثف:

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴾ [الطارق: ١١].

ومن الإعجاز أيضا وصف الغلاف الجوى « بالسقف المحفوظ »: الذى تحفظه الأرض بالجاذبية - وللجبال فى ذلك شأن طبقا لبعض الآراء - ليحفظ هو بدوره أكسجين الحياة؛ وثانى أكسيد الكربون اللازم لعمليات التمثيل الكلوروفيلى وتكوين الغذاء بالنبات؛ وبخار الماء لدورة المطر، ولولا حفظ الغلاف الجوى بالجاذبية لتسرب كل الهواء إلى الفضاء الخارجى، ولما كانت حياة - كما هو الحال فى كثير من الكواكب:

= التدرج الحرارى منذ بداية الطبقة الخامسة « الثرموسفير » ، ومن خلال هذه الطبقة الخامسة تبدأ- إذا ارتفعنا قليلا فيها - طبقة جديدة تتميز بتباين كل ما فيها من غازات نتيجة التأثير الشديد- دونما حائل- للأشعة فوق البنفسجية من الشمس، ويطلق على هذه الطبقة السادسة: الأيونوسفير، وهذه الطبقة أيضا هى التى يبرز فيها تفاعل الأوزون، وبنهاية هذه الطبقة التى تمتد حتى ارتفاع ٥٠٠ كيلو مترا تأخذ الغازات تدريجيا فى الندرة الشديدة إلى الفضاء المطلق، وتسمى هذه الطبقة السابعة: الإكسوسفير (المؤلف).

﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣٢][١].

الغلاف الجوى كذلك يحول دون تسرب الحرارة من الأرض إلى الفضاء الكونى شديد البرودة حولها، وخلال الغلاف الجوى يتشتت ضوء الشمس ويتوزع، فنرى السماء مضيئة ويعم ضياؤها ربوع الأرض، بينما الفضاء الخارجي مظلم مظلم ، ترى فيه الشمس كمصباح بعيد معلق فى ظلمة السماء، ومن آيات الغلاف الجوى للأرض أخيرا أنه يحفظها من الشهب التى تحترق خلاله، ومن الأشعة الكونية التى تهلك الزرع والضرع، وصدق الله تعالى فى قوله : ﴿ **وجعلنا السماء سقفا محفوظا** ﴾.

وهذا الغلاف الجوى مستمر متصل لا انفراج فيه «إلا ما قد يطرأ عليه بسبب سوء استخدام البيئة كثقب الأوزون»، كما عبر بذلك قوله تعالى :

﴿ **أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ** ﴾ [ق : ٦][٢].

ولعل من الإشارات القرآنية إلى هذا الغلاف المتصل أيضا، فى معرض الحديث عن أحداث يوم القيامة، الإشارة إلى كشط السماء، أو انشقاقها، أو انفطارها كما فى الآيات :

﴿ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴾ [التكوير : ١١][٣].

﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾ [الانشقاق : ١].

﴿ إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ﴾ [الانفطار : ١].

٣ / ٧ السحاب والمطر :

حدد التعبير القرآنى فى دقة بالغة مراحل نشأة السحاب وسقوط المطر، فيما يعرف باسم الدورة المائية، بصورة تقطع باستحالة أن تكون هذه المفاهيم نابعة من عقل بشر

---

(١) والسماء تبدأ بالغلاف الجوى الذى يحمى الأرض من الشهب والنيازك والأشعة الكونية، وتحتفظ به الأرض بقوة الجاذبية (المنتخب).

(٢) الفرج : الشق بين الشيئين (الوسيط) والخلل بين الشيئين (اللسان).

(٣) كشطت : أزيلت ونزعت من مكانها كما ينزع الجلد عن الشاة (الصفوة).

حين نزول القرآن . يحمل الهواء الجوى بخار الماء المنطلق من المسطحات المائية الشاسعة، محيطات وبحارا وأنهارا، ومن تنفس النبات والحيوان، وتزداد رطوبة الهواء أو تنقص حسب الظروف الحرارية والبيئية، حتى إذا بلغت حد التشبع ظهرت فى صورة ضباب، أو تكثفت فى صورة ندى أو صقيع، ولكنها لاتتجمع لتصير سحابا إلا إذا وجدت أنوية مشحونة بالكهرباء تتجمع حولها وتتكاثف، ولايتسنى ذلك إلا بفعل الرياح : فالرياح هى التى « تثير » نوى التكاثف من سطح الأرض، أو بالاحتكاك بموج البحر أتأمل قوله تعالى فى تأكيد أن الرياح هى التى تثير السحاب بادىء ذى بدء :

﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [الروم : ٤٨][1] .

﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ النُّشُورُ ﴾ [فاطر : ٩][2] .

ومرحلة إثارة السحاب– بتعبير الآيتين كما هى فى الواقع– مرحلة مستقلة تسبق نشره فى السماء وانتقاله من مكان إلى آخر، ثم تأمل الآية :

﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴾ [الحجر : ٢٢][3] .

والآية تحدد دور الرياح فى تجميع « اللواقح » التى هى نوى التكاثف، ولقد فسرها الأقدمون خطأ بأنها تشير إلى حمل حبوب اللقاح للنبات وذلك –وإن كان صحيحا

---

(١) فتثير سحاباً : بما تحمله من بخار الماء المتصاعد من كتلة الماء على الأرض (الظلال) .

(٢) تثيرها من البحار (الظلال)

(٣) ولكن السياق هنا يشير إلى أنها لواقح بالماء دون سواه . . . وليس هناك ذكر ولو من بعيد للإنبات (الظلال)، سبقت هذه الآية ماوصل إليه العلم . . . كما لم يعرف العلم إلا فى أوائل القرن الحالى أن الرياح تلقح السحاب بما ينزل بسببه المطر إذ أن نويات التكاثف . . . تحملها الرياح إلى مناطق إثارة السحاب، وقوام النويات أملاح البحار وما تذروه الرياح من سطح الأرض والاكاسيد والأتربة وكلها لازمة للمطر (المنتخب) .

علميا – ليس المقصود بالآية، التى تربط مباشرة بين التلقيح وبين إنزال المطر من السماء.

وللرياح دور آخر أساسى فى تكوين السحاب المطير، هو تأليف السحاب المشحون بالكهرباء السالبة أو الموجبة، بعضه إلى بعض، فيتجاذب ويتجمع وينمو ليصبح « سحابا ثقالا » كما فى الآيتين.

﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ . وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴾ [الرعد : ١٢، ١٣].

ويلاحظ فى هاتين الآيتين الترتيب الدقيق للأحداث :

(١) الشرارة المضيئة (البرق) .

(٢) ائتلاف السحاب الثقال .

(٣) صوت الرعد .

وتأليف السحاب هذا قد نصت عليه الآية التالية المعجزة :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ ﴾ [النور : ٤٣][١].

والسحاب نوعان : نوع يمتد أفقيا « السحاب البساطى الطبقى » وآخر يمتد رأسيا كالجبال « السحاب الركامى » ، لم يدرك البشر ذلك الامتداد الرأسى لجبال السحاب إلا بالرصد بالطائرات وغيرها من وسائل الرصد الجوية الحديثة، ويميز التعبير القرآنى

---

(١) الركام ما اجتمع من الأشياء وتراكم بعضه فوق بعض (الوسيط)، ووصف السحاب بالجبال الضخمة الكثيفة... كما يبدو لراكب الطائرة... تعبير مصور للحقيقة التى لم يرها الناس، إلا بعد ما ركبوا الطائرات (الظلال)، وإذا لم تكن تلك الطائرات فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم فإنه يكون ذلك دليلا على أن هذا الكلام من عند الله العليم، كما تسبق هذه الآية ركب العلم، فإنها تتناول مراحل تكوين السحب الركامية وخصائصها... كما أنها وحدها التى تجود بالبرد وتشحن بالكهرباء... وقد يتلاحق حدوث البرق فى سلسلة تكاد تكون متصلة... فيذهب ببصر الراصد... عين ما يحدث للملاحين والطيارين (المنتخب)

– فى بلاغة علمية معجزة للبشر عبر القرون قبل الاكتشافات الحديثة – بين النوعين بتعبيرى :

« يبسطه فى السماء » للنوع الأول فى آية (الروم : ٤٨) وتعبير « يجعله ركاما » للنوع الثانى فى آية (النور : ٤٣) .

تحمل الرياح السحاب إلى أعلى فيبرد بخاره شيئا فشيئا، وذلك بفعل التمدد « بسبب تخلخل الضغط فى طبقات الجو العليا »؛ وكذلك بتأثير الاقتراب من قمم الجبال الشاهقة الباردة، ويتجمد بخار الماء إلى ثلج كما يتجمد الماء المكثف إلى جَمْد، فتنشأ حبات البَرَد البلورية التى تتردد صعودا وهبوطا بفعل الشحنات الكهربائية وعوامل ميكانيكية، وفى أثناء ذلك تكتسب حبات البَرَد شحنات سالبة فى بعضها وموجبة فى بعضها الآخر، مما ينتهى بها إلى تجاذب شديد واتحاد، يصحبه تفريغ كهربائى مفاجىء يحدث وهجا شديدا هو « البرق »، وصوت فرقعة هو « الرعد »، وتؤكد آية (النور : ٤٣) أعلاه الارتباط بين تكون البرد وبين شرارة البرق فى السحاب الركامى « .. من برد فيصيب ..... يكاد سنا برقه يخطف بالأبصار » وهو ما أكده العلم الحديث.

بنمو حبات البرد تثقل إلى الحد الذى يجعلها تسقط إلى الأرض، لتصيب به من يشاء الله، أو تنصهر أثناء هطولها فتصير ماء منهمرا .

ولا يفوتنا هنا أيضا أن نلاحظ دقة التعبير فى نزول الودق « المطر » من داخل السحاب « من خلاله »، وليس من سطحه السفلى المواجه للأرض كما يتبادر لمن لايعلم.

٣ / ٨ الماء :

كلما تقدم العلم كلما استبان للإنسان حيوية الدور الذى يلعبه الماء فى حياته، وأهميته لمستقبله، وهاهو عصر التكنولوجيا– كما يقولون– يقف حائرا أمام مشاكل الجفاف والتصحر ومستقبل مصادر المياه، لقد أشار الخالق العليم إشارات علمية معجزة ومتكررة تتعلق بالماء، فالماء أساس الحياة لكل الكائنات على وجه الأرض، الإنسان والحيوان والنبات، وفى أعماق البحار « الأسماك والنباتات البحرية »، وفى جوف الأرض « البذور والجذور والبكتريا وديدان الأرض »، وفى عنان السماء « الطيور

والحشرات»، فكل العمليات الحيوية داخل هذه الكائنات كالتنفس وتمثيل الغذاء وامتصاصه والتناسل والإخراج – إنما تتم فى وسط مائى أورطب كما قرر المولى عز وجل:

﴿ أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٠] (١).

﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [النور: ٤٥] (٢).

المطر من السماء مصدر لكل مصادر المياه فى الأرض فهو مصدر الأنهار ومصدر المياه الجوفية، ومصدر الينابيع، هذه الحقيقة التى لم يعرفها العلم الحديث إلا مؤخرا على يد بليسى عام ١٥٧٠م، سبق القرآن الكريم بها فى الآية:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لأُولِي الأَلْبَابِ ﴾ [الزمر: ٢١] (٣).

بينما ظل البشر – حتى زمان قريب – يتخبطون فى مصادر المياه الجوفية ومصادر الأنهار، التى ظنوها شيئا منفصلا عن مطر السماء، وحاروا أيضا فى فهم حقيقة التعبير القرآنى، وسادت نظريات هى أقرب إلى الخرافة منها إلى الحقيقة القرآنية التى

---

(١) تقرر (الآية) حقيقة علمية: أن الماء هو المكون الهام فى تركيب الخلايا ولحدوث جميع التحولات والتفاعلات، ولكل وظائف الأعضاء (المنتخب)، هذا من أغرب معجزات القرآن، فإن العلم يقرر ذلك حرفيا (المفسر).

(٢) الآية لم تسبق فقط ركب العلم فى بيان نشوء الإنسان من النطفة بل سبقته كذلك فى بيان أن كل دابة تدب على الأرض خلقت كذلك بطريق التناسل من الحيوانات المنوية... وكذلك أن الماء قوام تكوين كل كائن حى وأكثر ضرورة من الغذاء وأساس تكوين الدم وكل سوائل الجسم (المنتخب).

(٣) الينبوع: عين الماء (الوسيط) من: نبع تفجر (اللسان)، ولم تعرف دورة المياه فى الطبيعة إلا حديثا، حيث أن الفكرة التى كانت سائدة قبل ذلك كانت تقول إن ماء العيون والأنهار يتفجر من باطن الأرض آتيا إليه من حفر وآبار فى قيعان البحار (المنتخب)، وقديما قال المفسرون فى تفسير الآية: وهذا دليل على أن ماء العيون من المطر... قال ابن عباس: ليس فى الأرض ماء إلا نزل من السماء، ولكن عروق فى الأرض تغيره (الصفوة).

أدركها البشر حديثا.

المصدر الأول للمياه على وجه الأرض هو ماتكثف فيها عند نشأة الأرض، وظهر على هيئة مسطحات مائية لمحيطات وبحار بدأت بها دورة التبخر والسحاب والمطر وهلم جرا، كما تنطق بذلك آيات سورة النازعات «انظر أيضا موضوع: شكل الأرض».

﴿ وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا . أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴾ [النازعات: ٣٠، ٣١].

ومن المعارف التى أشار إليها القرآن الكريم أيضا: استحالة اختلاط مياه البحار بمياه الأنهار عند التقائهما فى المصبات، كالتقاء نهر النيل بالبحر الأبيض عند كل من دمياط ورشيد، حيث كان يشاهد[1] خط فاصل يُرى رأى العين بين الماء العذب المحمل بالطمى وبين ماء البحر (الأزرق)؛ أو فى أحوال أخرى عند التقاء نهرين مالح وعذب، كالتقاء نهرى «الكنج»، و«الجامونا» فى مدينة «الله آباد»، والتقاء نهرين يسيران متلاصقين، أحدهما عذب والآخر ملح، بين مدينتى «تشاتغام» ببنجلاديش و«أركان» ببورما، وكذلك عند التقاء بحرين مالحين مثلما يُرى عند التقاء مياه البحر الأحمر بمياه المحيط الهندى عند باب المندب، وترجع هذه الظاهرة إلى خاصية الانتشار الغشائى «الأسموزى» التى تدفع جزئيات الماء العذب إلى الانتشار «داخل الماء المالح وليس العكس» عبر السطح الفاصل بينهما «الحاجز أو البرزخ»، كما جاء فى الآيات:

﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ [الفرقان: ٥٣][2].

﴿ أَمَّن جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [النمل: ٦١].

﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ . بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَّ يَبْغِيَانِ ﴾ [الرحمن: ١٩، ٢٠].

ثم نوه الخالق العليم بحفظه للماء فى هذا الكوكب الأرضى فى دورة لاتنقطع:

---

(١) قبل بناء السد العالى بأسوان.

(٢) البرزخ: الحاجز بين شيئين (الوسيط واللسان)

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ ﴾ [الملك : ٣٠] .

﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٨] .

وهذه حقيقة قد كشف العلم الحديث مغزاها، فلولا الغلاف الجوى وما فيه من آيات مبهرات « انظر الغلاف الجوى » ودورة السحاب والمطر لضاع الماء فى الفضاء ولأصبح كوكب الأرض - كبعض الكواكب الأخرى - جافا قاحلا، ولولا طبيعة الأرض التى تسمح صخورها بتخزين المياه الجوفية فى خزانات شاسعة فى باطنها لتسرب الماء وذهب بددا فى الأعماق، وفى هذا الصدد أيضا تجدر الإشارة إلى معجزة بقاء ماء البحار والمحيطات دون تجمد إذ يطفو الثلج المتجمد فوقها فيحفظ بقية الماء من التجمد، ويحفظ حياة الأسماك والأحياء البحرية، وتستمر فيه الملاحة، ويرجع ذلك إلى خاصية وهبها الله الماء - دون سائر المواد الأخرى - أن كثافته تقل بالتجمد « لاتزيد كغيره » أى أن كثافة الثلج أدنى من كثافة الماء السائل.

من حقائق العلوم أن هطول المطر يسبقه - كما أشرنا - تفريغ كهربائى فى السحاب مصحوبا بالشرارة المعروفة باسم البرق، هذه الشرارة كانت كفيلة أيضا بإفساد الماء، بتكوينها لحمضى النتروز والنتريك نتيجة لاتحاد أكسجين ونتروجين الجو « إلى ثالث وخامس أكسيد النتروجين »؛ لولا المشيئة الربانية، ولعل ذلك تفصيل لقوله تعالى :

﴿ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ . أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ . لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلا تَشْكُرُونَ ﴾ [الواقعة : ٦٨ - ٧٠] .

والأجاج هو : الذى يلذع الفم بمرارته وملوحته .

ومن ناحية أخرى فإن دورة الماء بين البحار المالحة والبخار فالسحاب فالمطر تفصيل آخر لهذه الآية، فلو لم تتبخر مياه البحار بادىء ذى بدء لصار كل ما على الأرض فى نهاية المطاف ماء أجاجا .

٣ / ٩ الأنهــار :

تنبع الأنهار من الجبال، إذ يصطدم بها السحاب الذى تسوقه الرياح فيزداد برودة وينعكس إلى أعلى، حيث يبرد كثيرا بفعل الارتفاع فى طبقة التروبوسفير « أنظر الغلاف الجوى » وبفعل القمم الباردة فتسقط حمولة السحاب مطرا يسيل على سفوح الجبال، وكلما ارتفع الجبل وشمخ كلما تهيأ له أن يكتسى بالثلوج، التى يذوب أدناها أولا بأول ليزود الأنهار بنبع دائم للمياه. تلك الثلوج تكسو الجبال الشامخة، بما فيها الجبال الاستوائية، إلا أن الارتفاع الملائم أو المطلوب لتكوين الثلوج يقل كلما ابتعدنا عن خط الاستواء، فبينما تتجمع الثلوج هنالك ابتداء من ارتفاع خمسة كيلو مترات أو أكثر؛ يقل الارتفاع المطلوب تدريجيا إلى ٤ كيلو مترات عند المدارين ثم إلى ٢ كيلو مترا عند خط عرض ٥٠° « شمالا أو جنوبا » حتى ينمحى تماما ابتداء من خط عرض ٧٠° حتى القطبين، أرأيت كيف يقترن شموخ الجبال بنبوع الأنهار، اقرأ قوله تعالى مشيرا إلى هذا الاقتران :

﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا ﴾ [المرسلات : ٢٧][(١)].

وسبح بعظمة الخالق العليم :

﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾ [البقرة : ٢٥٥].

٣ / ١٠ البحـار :

أثبتت البحوث الحديثة باستخدام تلسكوبات دقيقة أن أعماق البحار والمحيطات ليست ساكنة، بل تموج بأمواج وتيارات أظلم وأكثف مما بسطحه، وصدق الله العظيم فى دقة وصف القرآن الكريم للبحر، عندما اتخذه مثلا لظلام العقول الجاحدة الكافرة فى هذه الآية :

﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا

---

(١) « رواسى شامخات » : ثابتات سامقات تتجمع على قممها السحب، وتنحدر منها مساقط الماء العذب . . . (الظلال)، كشف القرآن عن حكمة وجود الجبال قبل . . . العلم الحديث (كالأوتاد)، ونعمة أخرى : نشوء السحب فوقها، وهطول الأمطار والثلوج عليها، فتتكون بسبب ذلك الأنهار والعيون، . . . فالجبال مخازن للثلوج والأمطار . . . فلهذا قرن تعالى بها نعمة المطر، فلله ما أبدع أسرار القرآن (الصفوة) .

﴿فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠](١).

يعزى تكون البحار والمحيطات إلى ماحدث فى قديم الزمان من تغير فى شكل الأرض: من كرة تامة إلى شكل بيضاوى «دحوها» صحبه انفصال القارات ثم تباعدها وامتلاء مابينها بالمياه، وتتفق هذه الفكرة مع الآية التى تربط بين دحو الأرض وانتشار المسطحات المائية:

﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا . أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ [النازعات: ٣٠، ٣١].

ويستخرج اللؤلؤ من البحار المالحة منذ القدم، أما المياه العذبة فلم يكتشف فيها اللؤلؤ وغيره من الأحجار الكريمة إلا حديثا، ليتأكد البشر من صدق ماقرره الوحى القرآنى فى قوله تعالى:

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [فاطر: ١٢](٢).

﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ . بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ . فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ١٩ – ٢٢].

يوجد اللؤلؤ فى أنهار عذبة فى كل من انجلترا واسكتلندا وويلز وتشيكوسلوفاكيا وغيرها، كما يستخرج الماس من رواسب بعض الأنهار الجافة المعروفة باليرقة، كما يوجد الياقوت فى الرواسب النهرية فى «موجوك» فى بورما العليا، وكذلك فى

---

(١) تجمع هذه الآية أهم ظواهر عواصف البحر، فالمعروف أن عواصف البحار العميقة أو المحيطات تنطلق فيها أمواج مختلفة الطول أو السعة أو الارتفاع بحيث يبدو الموج منطلقا فى طبقات بعضها فوق بعض، فيحجب ضياء الشمس لما تثيره هذه العواصف من سحب سميكة تحجب ضوء الشمس ويخيم معها الظلام فى سلسلة من عمليات الإعتام،... ولما كانت نشأة الرسول ﷺ فى البادية، فإن ورود الدقائق العلمية على لسانه وحيا من الله دليل على أن القرآن الكريم من عند الله، وعلى أنه معجزة هذا الرسول الكريم (المنتخب).

(٢) بدهى أن بعض الحلى من البحر المالح، وقد يستبعد بعض الناس أن تكون المياه العذبة مصدرا للحلى أيضا ولكن العلم والواقع أثبتا غير ذلك؛ فاللؤلؤ يستخرج من صدفيات الأنهار فى المياه العذبة، والمعادن العالية الصلابة كالماس... فى رواسب الأنهار الجافة المعروفة باسم اليرقة... والياقوت... والأحجار شبه الكريمة للزينة: التوباز،... والزركون... يقارب خواص الماس (المنتخب).

سيام بالهند وفى سرى لانكا، كما يوجد التوباز فى الرواسب النهرية بالبرازيل والأورال وسيبريا، وكذلك الزركون الذى تستخدم بعض رواسبه النهرية كأحجار كريمة.

٣ / ١١ الزراعة :

من الحقائق الجيولوجية الدقيقة أن التربة الطينية الساكنة، إذا مابتلت بالماء تمددت إلى أعلى وتشققت، فيهتز أسفلها ويتحرك بجذور النبات وشعيراته، فانظر الدقة المعجزة فى تطابق ذلك مع وصف الآية :

﴿ وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ [الحج: ٥](١).

وما كان لدى الأقدمين وسائل لمراقبة التربة، ومايطرأ عليها من تغيرات دقيقة. الطين جسم مسامى من حبيبات مادة «الطفل» مع نسب مختلفة من حبيبات الرمل والجير وغيرها، وعند رى الأرض يتخلل الماء المسام ليملأها، حتى إذا فاض عن حاجتها اتسعت المسام بالماء الزائد فتمددت التربة من أسفل، فاهتزت اهتزازا لاتراه العين المجردة، وتشققت. تهتز الأرض كذلك بحركة الجذور والشعيرات الجذرية فى كل اتجاه سعيا وراء الماء الذى جاءها بعد همود، كما تزداد حركة دودة الأرض وتتكاثر، ودودة الأرض هذه قد تصل أعدادها فى التربة الى ٥٠٠٠٠ فى الفدان، ولها دور حيوى فى تهوية التربة وفتح مسامها - وكذلك فى دورة النترجين بين الجو والتربة «انظر دورات الحياة»، كل ذلك يؤدى إلى اهتزاز التربة ونموها، ثم إلى نبت جديد.

تختلف التربة الزراعية فى مكوناتها من حبيبات مختلفة وما بها من مواد عضوية وكائنات حية دقيقة تؤثر جميعا فى قابلية الأرض للزراعة وفى جودة محصولها، وتختلف فى ذلك من موضع إلى موضع، وهذا ماقرره القرآن الكريم فى قوله تعالى:

﴿ وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ

---

(١) «اهتزت وربت» وهى حركة عجيبة سجلها القرآن قبل أن تسجلها الملاحظة العلمية بمئات الأعوام، فالتربة الجافة حين ينزل عليها الماء تتحرك حركة اهتزاز وهى تتشرب الماء وتنتفخ فتربو... (الظلال).

﴿ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الرعد : ٤](١).

كما نوه القرآن بمزايا الأرض الزراعية المرتفعة « الروابى » التى كشفها العلم الحديث؛ حيث تزداد انتاجيتها لبعدها عن المياه الجوفية ممايضاعف شعيرات الجذور الماصة للغذاء:

﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة : ٢٦٥](٢).

وكذلك قد ثبت علميا أن القمح وغيره من الحبوب يتعرض للتلف فى الهواء الجوى عند تخرينه طويلا، وذلك بفعل الرطوبة وغيرها، وقد وجد أن أنجح الوسائل لحفظه إبقاؤه على السنابل، وهو ماقرره الهادى العليم فى قصة سيدنا يوسف عليه السلام، والذى أوحى إليه الله ذلك، عندما وُكل إليه أمر الزراعة فى مصر– تحسبا لسنين جدب النيل المعروفة « بسنى يوسف »:

﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴾ [يوسف : ٤٧](٣).

---

(١) تشير الآية إلى علوم الاراضى والبيئة واثرها على صفات النبات فمن المعروف علميا ان التربة الزراعية تتكون من حبيبات معدنية مختلفة المصدر والحجم والترتيب، ومن الماء... والهواء... ومن المادة العضوية التى يرجع وجودها إلى بقايا النبات والاحياء الاخرى التى توجد على سطح التربة أو فى داخلها، وفضلا عن ذلك فتوجد ملايين الكائنات الحية الدقيقة لا ترى بالعين المجردة لصغر حجمها وتختلف أعدادها من عشرات الملايين إلى مئاتها فى كل جرام من التربة السطحية الزراعية... فالارض كما يقول الزراعيون بحق تختلف من شبر إلى شبر (المنتخب).

(٢) فى تعبير القرآن الكريم بكلمة ربوة وهى الأرض الخصبة المرتفعة إشارة إلى ما كشفه العلم الحديث، لأنها بارتفاعها تبعد عن المياه الجوفية فيغوص المجموع الجذرى فى التربة– من غير ماء يضره– ويتضاعف عدد الشعيرات الماصة فيتضاعف المحصول... (المنتخب).

(٣) تتفق مع ما وصل إليه العلم ان ذلك وقاية له من التلف بالعوامل الجوية والآفات، وفوق ذلك يبقيه محافظا على محتوياته الغذائية كاملة (المنتخب).

الفصل الرابع

فى الكائنات الحية

٤ / ١ عالم الحيوان :

أثبتت دراسات علم الحيوان صحة ما أشار إليه القرآن، من أن مجتمعات الحيوانات تسودها أسس ونظم حياة- كمجتمعات البشر، حتى إن علم الحيوان يقسم المملكة الحيوانية إلى رتب، والرتب إلى فصائل ثم إلى أجناس ثم إلى أنواع، ومازال العلم يكشف المزيد من هذه الأمم برا وبحرا وجوا، مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنعام : ٣٨][١] .

ومن ناحية أخرى نبه القرآن الكريم إلى أنه- بجانب ماكان معروفا من الحيوانات التى تمشى على أربع أوعلى رجلين أو تزحف على بطنها- فهناك ثمة أنواع أخرى قد يهتدى الإنسان لتركيبها فيما بعد، كالحشرات التى تمشى على ستة أرجل كالذباب والنمل والنحل والبعوض، أو على ثمان كالعنكبوت وغيرها كثير، مما هو أصغر وأدق، وهو مالم يتيسر إدراكه إلا بالوسائل الحديثة كالفحص المجهرى بالمجاهر البصرية والمجهر الإلكترونى، تدبر قوله تعالى :

﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [النور : ٤٥] .

والمتأمل فى سلوك الحيوانات والطيور والأسماك والحشرات وغيرها يرى كيف ألهمها الله إلى التعايش والتفاعل مع غيرها من الكائنات؛ وإلى التكيف مع البيئة لتبقى وتتكاثر، بل يرى أيضا كيف ألهمها الله التخاطب فيما بينها بإصدار أصوات

---

(١) وهى حقيقة هائلة، لا تستطيع ملاحظتهم وحدها حينذاك - حيث لم يكن لهم علم منظم - أن تشهد بها : حقيقة تجمع الحيوان والطير والحشرات من حولهم فى أمم (الظلال)، تنتظم الكائنات الحية فى مجموعات يختص كل منها بصفات تكوينية ووظيفية وطبائع مميزة . . . وهذا ما يكشفه علم التصنيف كلما تعمق فى دراسة نوع منها (المنتخب)

أو ذبذبات؛ أمكن تسجيل بعضها بقدر ما تتيحه أجهزة قياس الذبذبات؛ ثم الاجتهاد فى فك رموزها وتفسير معانيها:

﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ [طه: ٥٠] (١).

﴿ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ . وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ [الأعلى: ٢، ٣] (٢).

ويتجلى هدى الله لكائناته، وإعجاز قرآنه فى إشاراته عند التأمل فى عالم النمل، وعالم النحل.

٤ / ٢ النمل :

توصل علماء الحيوان إلى معرفة الكثير من أوجه الشبه بين سلوك النمل وسلوك الجماعات الإنسانية: التعاون فى بناء البيوت وفى شق الأنفاق؛ وفى ادخار الطعام فى الصيف تحسبا لفصل الشتاء، قضم طرف البذور حتى لا تعاود الإنبات وتتلف لو تسرب إليها مطر الشتاء، ثم اللغة والتخاطب، التى كشفتها تجارب حديثة، حيث راقب أحد العلماء مجموعة من النمل عثرت إحداها على جثة ذبابة، فأخذت تدور حولها وتتحسسها وتحاول رفعها لعدة دقائق، ثم تركتها وسارت بعيداً حيث قابلت أكثر من نملة، كانت تتوقف عندها كأنها تحدثها، وفى آخر المطاف عادت ومعها مجموعة حاشدة من النمل، تعاونت فى رفع الذبابة من مكانهاوحملها بعيدا إلى مساكنهم. قال تعالى:

﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ . فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ [النمل: ١٨، ١٩].

ذلك ماكان من شأن سيدنا سليمان الذى علمه الله كيف يفهم لغة كثير من الكائنات:

---

(١) كل شئ مخلوق ومعه الاهتداء الطبيعى الفطرى للوظيفة التى خلق لها (الظلال)، أودع الله سبحانه وتعالى فى كل شئ صفاته الخاصة التى تؤهله لاداء وظيفته التى خلق لها فى هذه الحياة (المنتخب)

(٢) وهذه الحقيقة الكبرى ماثلة فى كل شئ الذرة... الخلية الحية... الكائنات الحية... المجموعة الشمسية (الظلال)، فسوى خلقه، وقدر... تقديرا مناسبا للحكمة، ومؤديا للأغراض التى خلقه من أجلها على أحسن حال (المفسر)

﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴾ [النمل: ١٦].

٤ / ٣ النحل :

حكى القرآن عن نظامه الدقيق وعمله الدءوب، ودورة غذائه على مختلف النباتات، ليخرج العسل أنواعا وأنواعا، كما أشار إلى إلهام المولى تعالى للنحل أن تجمع الرحيق من مختلف الأزهار والثمار، ثم تحوله فى داخلها الى عسل مختلف لونه وطعمه، ليخرج من باطنها سائغا له فوائد جمة، وبه شفاء كثير من الأمراض، وهو ما عرفه الإنسان – بعد ذلك – بالدراسة الدقيقة والمتابعة المتأنية والبحوث المفصلة حول حياة النحل وإنتاج العسل (انظر أيضا : عسل النحل)، كما كشف القرآن عن تنوع مساكن النحل، والتى بينتها الحفريات القديمة : فى الجبال؛ وفى جذوع الأشجار الجوفاء قبل ظهور الانسان، ثم المناحل التى صنعها الإنسان، كل ذلك جمعته الآيتان التاليتان فى كلمات وجيزة مركزة :

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ . ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٦٨، ٦٩].

تشير هذه الآية الثانية أيضا إلى عجيبة من عجائب النحل– بهدى المولى سبحانه وتعالى – والتى بينتها الدراسات، ألا وهى المسافات الشاسعة التى تقطعها النحلة بعيدا عن الخلية بحثا عن مصادر الرحيق، دون أن تضل الطريق – ذهابا أو إيابا، واهتدائها إلى تلك المصادر المناسبة بالنظر وبالشم وبالذوق، ثم تبادل النحل المعلومات عن تلك المصادر : بالتخاطب الصوتى وبالرقص الذى تحمل كل حركة فيه دلالة معينة، تنبئ عن نوع المصدر واتجاهه وبعده عن المكان.

٤ / ٤ منابع اللبن :

تأمل إعجاز الدقة فى الوصف الفسيولوجى والتشريحى لمنبع اللبن فى الانعام، كالأبقار والجاموس، والتى أكدها العلم بعد قرون عديدة من التنزيل الحكيم، إذ تتوزع نواتج الهضم فى الأنعام بين: الدم إلى العروق، واللبن إلى الضروع، والروث إلى

المخرج، وكان ذلك أيضا قبل اكتشاف كيفية التمثيل الغذائي والدورة الدموية، بقرون عديدة:

﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُم مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ ﴾ [النحل: ٦٦][١].

والفرث: بقايا الطعام في كرش الأنعام.

وتأمل أيضا إشارة القرآن ثم إشادة المصطفى ﷺ بفضل اللبن ومنتجاته، كمصدر أساسي عظيم للتغذية؛ حتى يكاد يطلق عليه اسم: «الغذاء الكامل»

قال*: (من سقاه الله لبنا فليقل: اللهم بارك لنا فيه وزودنا منه، فإني لا أعلم ما يجزئ من الطعام والشراب غيره) (أبو داود وابن ماجة والترمذي وأحمد).

وقال أيضا: (عليكم بألبان البقر فإنها بركة] (أحمد).

وجاء أيضا في سورة المؤمنون (في مثل آية النحل):

﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُم مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ [المؤمنون: ٢١].

٤ / ٥ زوجية الكائنات الحية :

كشف المجهر الإلكتروني أن كل الكائنات الحية – مهما دقت – أزواج، بل إن المكونات الحيوية – على مستوى الخلية أو أدنى – أزواج، فالكروموسومات التي تحمل الصفات الوراثية بالخلية ما هي إلا أزواج من الشرائط التي تتوزع عليها الأحماض الأمينية، والنطفة «الأمشاج» خليط من بويضة وحيوان منوي، والحيوانات المنوية نوعان: أحدهما يحمل الصفات الوراثية المذكرة والآخر الصفات المؤنثة، ومسببات الأمراض من ميكروبات وفيروسات وبكتريا لكل منها أجسام مضادة:

(١) الحقيقة العلمية التي يذكرها القرآن عن خروج اللبن من بين فرث ودم لم تكن معروفة لبشر، وما كان لبشر في ذلك العهد ليتصوروها فضلا أن يقرروها بهذه الدقة العلمية الكاملة... ووجود حقيقة من نوع هذه الحقيقة يكفي وحده لإثبات الوحي من الله بهذا القرآن (الظلال)، توجد في ضروع الماشية غدد خاصة لإفراز اللبن تمدها الأوعية الشريانية بخلاصة مكونة من الدم، والكيلوز وهو خلاصة الغذاء المهضوم، وكلاهما غير مستساغ طعما، ثم تقوم الغدد اللبنية باستخلاص العناصر اللازمة لتكوين اللبن... (المنتخب).

﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الذاريات : ٤٩] .

وليس عالم الحيوان وحده أزواج، بل عالم النبات كله أزواج كذلك؛ بينما لم تعرف العرب وقت نزول القرآن من أزواج النبات سوى النخيل، ولم يعرف البشر إلا بعد اكتشاف المجاهر أن للنباتات كغيرها من الكائنات الحية : أعضاء تذكير (السدات) وأعضاء تأنيث (المبيض)، وأن الرياح وغيرها من العوامل تحمل حبوب اللقاح إلى الجنس المخالف ليتم التكاثر، كما جاء فى الآية السابقة وفى الآية التالية :

﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الرعد : ٣][١] .

وثبت بذلك إعجاز جديد للقرآن الكريم الذى أكد زوجية كل الكائنات .

---

(١) حقيقة لم تعرف للبشر عن طريق علمهم وبحثهم إلا قريبا : هى ان كل الأحياء وأولها النبات تتألف من ذكر وأنثى، حتى النباتات التى كان مظنونا أن ليس من جنسها ذكور تبين أنها تحمل فى ذاتها الزوج الآخر، فتضم أعضاء التذكير والتأنيث مجتمعة في زهرة ، أو متفرقة فى العود (الظلال) النباتات الزهرية المثمرة جميعها تنتج من تزاوج عناصر الذكورة والأنوثة سواء أكانت تلك العناصر فى زهرة واحدة أو فى زهرتين مختلفتين (المنتخب)

الفصل الخامس

فى خلق الإنسان

٥ / ١ الوراثة :

تتحدد صفات الخلية الحية بما تحمله من كروموسومات، والكروموسومات بناء من البروتينات والأحماض الأمينية الأربعة : أدينين، ثيامين، جوانين، سيتوزين مرتبة فى الفراغ على هيئة شريطين حلزونيين ملتفين حول بعضهما، وتحمل الكروموسومات الشفرة التى توجه نشاط الخلية وانقسامها وما إلى ذلك، تبعا لترتيب الأحماض الأمينية على امتداد الشريطين فى الفراغ، ومن المعروف أن الجنين يتكون من اتحاد خلية واحدة من الذكر (الحيوان المنوى) وخلية واحدة من الأنثى (البويضة)، ومن هنا فإن الصفات الوراثية تتحدد بكل من كروموسومات الأب وكروموسومات الأم، ٥٠٪ لكل منهما، ويتم ذلك ابتداء من النطفة الأولى التى تجمع بين الحيوان المنوى والبويضة : النطفة الأمشاج أى الخليط، والمشيج : كل شيئين مختلطين، حيث تتشكل الجينات للمخلوق الجديد مصداقا للآية :

﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [الإنسان : ٢]، وفى الحديث أيضا :

« أن يهوديا مر برسول الله ﷺ وهو يحدث أصحابه فقالت قريش : يا يهودى إن هذا يزعم أنه نبى، فقال : لأسألنه عن شىء لا يعلمه إلا نبى، فقال : يا محمد مم يخلق الانسان؟ فقال رسول الله ﷺ : يا يهودى من كلٍّ يخلق من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة » (أحمد)

ومن ناحية أخرى فإن السائل المنوى فى حد ذاته أمشاج من عدة مكونات : الحيوانات المنوية من الخصيتين، وإفراز الحويصلات المنوية، وسائل البروستاتا، وإفرازات غدد كوبر وغدد ليترى، وسنرى بعد ذلك آية أخرى من آيات الإعجاز فى القرآن بإشارته إلى أن جنس المولود إنما يتحدد بنوع الحيوان المنوى الذى يصيب البويضة .

وهناك صفات وراثية قد لا تظهر فى الجيل الأول من الأبناء، ثم تظهر بعد جيلين أو ثلاث يطلق عليها الصفات الوراثية المتنحية، وقد هدى الله نبيه ﷺ إلى ذلك:

(أن رجلا من بنى فزارة جاء إلي النبى ﷺ يعرض نفى ولده، لأن امرأته ولدت غلاما أسود، فقال ﷺ : هل لك من إبل؟ قال : نعم، قال: فما ألوانها؟ قال: أحمر، فقال ﷺ: هل فيها من أورق (أى أسود) قال: إن فيها أورق، قال: فأنى لها ذلك؟ قال: عسى أن يكون نزعه عرق، قال: فهذا عسى أن يكون نزعه عرق.

٥ / ٢ المنى:

أشار القرآن الكريم إلى مصدر المنى فى جسم الانسان إشارة لم يفهمها الأقدمون، إلى أن قدمت المعارف الطبية الحديثة بيانا شافيا لها، جاء فى الذكر الحكيم :

﴿ فَلْيَنظُرِ الإنسَانُ مِمَّ خُلِقَ . خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ . يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾ [الطارق: ٥ – ٧][1].

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

وبيان ذلك أن الخصيتين (وكذلك مبيضا الأنثى) تنشآن فى الجنين بين الخلايا الغضروفية المكونة لعظام العمود الفقرى أى «الصلب»، وتلك المكونة للصدر «الترائب» (انظر : تطور الجنين)، وذلك قبل نزول الخصيتين إلى موضعهما المعتاد فى الشهر السابع، وتظل الخصيتان تستمدان الماء والغذاء من الشريان المغذى لهما، المتفرع من الشريان الأورطى بحذاء الشريان الكلوى، كما يتحكم فى نشاطهما: العصب الصدرى العاشر الذى ينبع من النخاع بين الضلع العاشر والحادى عشر، وقد فسر الأقدمون «الصلب والترائب» خطأ على أنها صلب الرجل وترائب المرأة، ولو

---

(١) الصلب فقار الظهر (الوسيط)، وكل شئ من الظهر فيه فقار فذلك الصلب (اللسان)، والترائب عظام الصدر مما يلى الترقوتين (الوسيط)، الدراسات الجنينية الحديثة أن نواة الجهاز التناسلى والجهاز البولى فى الجنين تظهر بين الخلايا الغضروفية المكونة لعظام العمود الفقرى وتلك المكونة لعظام الصدر، وتبقى الكلى فى مكانها وتنزل الخصية إلى مكانها الطبيعى فى الصفن عند الولادة... الشريان الذى يغذيها بالدم... كما أن العصب الذى ينقل الإحساس إليها يساعدها على انتاج الحيوانات المنوية وما يصاحبها من سوائل... وواضح من ذلك أن الأعضاء التناسلية وما يغذيها من أعصاب وأوعية دموية تنشأ فى موضع فى الجسم بين الصلب والترائب (المنتخب)

كان الأمر كذلك لكان التعبير : « من الصلب ومن الترائب » وليس « من بين الصلب والترائب » .

٥ / ٣ جنس الجنين :

بالسائل المنوى عشرات الملايين من الحيوانات المنوية، وهذه الكائنات خلايا وحيدة متماثلة كل التماثل فى كروموسوماتها الأربع والعشرين عدا واحدا : هو الكروموسوم المحدد للجنس، وهو إما مذكر يرمز له بالرمز Y أو مؤنث يرمز له بالرمز X، أما بويضة الأنثى فهى الأخرى خلية وحيدة، كروموسوماتها ثلاث وعشرون إلى جانب الكروموسوم الأخير المحدد للجنس وهو دائما مؤنث X . عند التقاء الذكر بالأنثى تتدافع ملايين الحيوانات المنوية نحو البويضة، والحيوانات المنوية المذكرة Y أكثر حيوية وسرعة من المؤنثة ، فإذا سبقت كان الحمل ذكرا، وإلا اجتمعت الصفات المؤنثة مع الصفات المؤنثة للحيوان المنوى X فكان الحمل أنثى، ومن هنا أثبت علم الوراثة الحديث أن جنس المولود إنما يحدده فى المقام الأول الحيوان المنوى، ويتفق ذلك مع سياق الآية التى ربطت بين المنى وبين جنس المولود، بشكل يؤكد إعجازها .

﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ . مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴾ [النجم : ٤٥ ، ٤٦][١] .

﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ . ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ . فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ ﴾ [القيامة : ٣٧ - ٣٩] .

كما رأينا : تبدأ الحياة بالتقاء بويضة وحيوان منوى، تحمل الأنثى فى كل دورة شهرية بويضة جديدة صالحة للإخصاب بالسائل المنوى، الذى يضم فى القذفة الواحدة عشرات الملايين من الحيوانات المنوية التى قد يصل عددها إلى ٣٥٠ مليونا، ومن كل هذه الملايين لا ينجح إلا واحد فقط فى إخصاب البويضة، وهنا نجد روعة الدقة العلمية فى اختيار القرآن لتعبير « نطفة » من منى يمنى، فالنطفة مقدار ضئيل للغاية (النطفة لغة : القطارة والقليل من الماء، ونطف الماء : قطر) من ذلك الماء - وليس كل الماء أو معظمه الذى يقوم بالإخصاب، كما عبرت بذلك الآيات، وأكد ذلك أيضا - بعلم من المولى عز وجل - المصطفى ﷺ فى حديثه :

---

(١) النطفة : القليل من الماء (اللسان)، ونطف الماء : قطر، والقربة تنطف أى تقطر (الصحاح) والنطفة من معانيها القطرة (الوسيط)

(ما من كل الماء يكون الولد، وإذا أراد الله خلق شيء لم يمنعه شيء) (مسلم)

ومن ناحية أخرى فإن ارتباط جنس المولود بحيوان معين ضمن ملايين الحيوانات يقطع باستحالة التنبؤ – فضلا عن التحكم – فى جنس نطفة تحملها أنثى، كما ثبت أن جنس المولود الجديد لا يتحدد ولا يظهر قبل ستة إلى سبع أسابيع، مما يؤكد عجز العلم من جهة، وإعجاز قدرة الله تعالى، الذى خص نفسه بمعرفة ما تغيض الأرحام، كما جاء فى أكثر من آية :

﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾ [الرعد : ٨].

﴿ .... وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ .... ﴾ [الحج : ٥].

﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان : ٣٤].

﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [فاطر : ١١].

﴿ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴾ [فصلت : ٤٧].

٥ / ٤ تطور الجنين :

من أبلغ آيات الله المبهرات فى كتابه الكريم ذلك الوصف التشريحى الدقيق لمراحل تكون الجنين منذ كان نطفة، تطورت إلى علقة ثم إلى مضغة مخلقة وغير مخلقة، ثم نشأت فيها العظام وكسيت لحما، حتى بدايات الحركة والحياة قبل الخروج إلى العالم، وكذلك ذكر ما يغلف الجنين من أغشية ثلاث : وهى ما تعرف بالغشاء الأمنيونى ثم الغشاء المشيمى ثم الغشاء الساقط، أنى لأم لم تعرف شيئا من علم التشريح ولم تملك زمامه لقرون طوال أن تدرك مغزى ما أنبأها به العليم الحكيم.

ولنبدأ القصة من أولها : فى منتصف كل دورة شهرية يفرز مبيض الأنثى خلية واحدة هى البويضة التى اكتمل نموها، فتدفعها إلى قناة فالوب، حيث يتاح لها – فى

الظروف الملائمة أن يصيبها حيوان منوى (وهو الآخر خلية وحيدة) لها رأس وذنب يتعلق فى جدار البويضة وينشب فيها وهنا تندفع البويضة الملقحة (خليط البويضة والحيوان المنوى) إلى داخل الرحم، حيث « تتعلق » بجداره بواسطة خلايا « أكالة »، مصداقا لقوله تعالى فى أول ما نزل من القرآن :

﴿ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ [العلق : ٢][١].

والعلق لغة : كل ما علق، وعلق بالشيء علقا وعلقه : نشب فيه، ورغم ذلك لم يدرك المفسرون القدماء حقيقة الحيوان المنوى « المتعلق » بجدار البويضة، ليتكون منه الجنين « المتعلق » هو الآخر بجدار الرحم، فصرفوا المعنى إلى أن العلقة كناية عن الدم المتخثر « ربما لما كان يشاهد فى حالات الإجهاض المبكر » ثم عبرت الآيات بوضوح عن كون العلقة مرحلة محددة من مراحل نشأة الجنين، كما جاء فى قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ [الحج : ٥][٢].

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ . ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ [المؤمنون : ١٣، ١٤][٣].

---

(١) العلق : كل ما علق (الوسيط)، والعلقة : دودة فى الماء تمص الدم (الصحاح)، العلقة الدودة الصغيرة، وقد أثبت الطب الحديث أن المنى محتوى على حيوانات وديدان صغيرة لا ترى بالعين وإنما بالمجهر الدقيق وأن لها رأسا وذنبا (الصفوة)

(٢) المضغة : القطعة الصغيرة من اللحم (الوسيط)، مخلقة : قد بدا خلقها، وغير مخلقة لم تصور (اللسان) حيوان واحد هو الذى يلقح البويضة . . . المضغة، وهى قطعة من دم غليظ لا تحمل سمة ولا شكلا ثم تخلّق فتتخذ شكلها بتحولها إلى هيكل عظمى يكسى باللحم (الظلال)

(٣) هنا يقف الإنسان مدهوشا أمام ما كشف عنه القرآن . . . لم تعرف على وجه الدقة إلا أخيرا بعد تقدم علم الأجنة التشريحى . . . خلايا العظم غير خلايا اللحم، وقد ثبت أن خلايا العظم هى التى تتكون أولا فى الجنين، ولا تشاهد خلية واحدة من خلايا اللحم إلا بعد ظهور خلايا العظم وتمام الهيكل العظمى . . . (الظلال)

منذ اللحظة الأولى لتلقيح البويضة تبدأ الخلية (الخليط) فى النمو عن طريق سلسلة مستمرة من الانقسامات، ويستمر نمو العلقة - التى لا ترى بالعين فى بدايتها - إلى أن تتخذ شكل قطعة من اللحم الممضوغ، والتى يعبر عنها أبلغ تعبير لفظ « مضغة »، ثم رويدا رويدا تأخذ المضغة فى التشكل وفق نظام معقد مبهر، لكل خلية فيه وظيفة محددة ودور معلوم، وهنا تتضح معالم أعضاء الجسم شيئا فشيئا، وذلك وجه لفهم الفرق بين المضغة « المخلقة » و« غير المخلقة »، وقد يفهم الفرق بوجه آخر - وذلك على مستوى الخلايا - فالخلايا نوعان: منها ما يساهم فى تكوين أعضاء الجسم الداخلية والخارجية المعينة - أى أنها « تتخلق » لوظيفة محددة، ومنها ما يظل منذ البداية ثم طوال حياة الإنسان، خلايا غير متميزة تتجدد باستمرار لتلبى احتياجات الجسم عند الجروح أو الكسور فتصبح خلايا دم أو عضلات أو غيرها.

ثم يستمر نمو الجنين على ثلاثة محاور: الخلايا الخارجية تتحول إلى « الجلد والجهاز العصبى »، والخلايا الوسطى تتحول إلى « عظام »، تبدأ كمادة غضروفية تترسب حولها مادة العظم، ثم تكسى باللحم: « فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما، » أما الخلايا الداخلية فتتحول إلى عضلات وأوعية وأحشاء داخلية.

تتحدد المعالم الكاملة للجنين فى نهاية الأسبوع السادس، كما يكتمل تركيب المخ بأجزائه ومعالم الجهاز الهضمى، وكذلك معالم الوجه كالعينين والأنف والأذنين، ومعالم الأطراف من يدين ورجلين وأصابعهما، وجنس الجنين ذكرا أم أنثى.

هذه هى الأطوار التى يمر بها الجنين كما فصلتها الآيات السابقة، وكما أجملها قوله الحق تعالى :

﴿ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ [نوح: ١٤][(١)].

---

(١) والذى عليه أكثر المفسرين أنها الأطوار الجنينية من النطفة إلى العلقة ... ويمكن أن يكون مدلولها ما يقوله علم الاجنة ... فى أول أمره يشبه (الجنين) حيوان الخلية الواحدة ثم المتعدد الخلايا ثم شكل حيوان مائى ... ثم ثديى ... الشكل الإنسانى، وهذا أبعد من إدراك قوم نوح، فقد كشف هذا حديثا جدا ... وقد تكون لها مدلولات أخرى لم تكشف للعلم بعد ... ولا نقيدها (الظلال).

٥ / ٥ الأغشية الثلاث :

يستمر نمو الجنين فى قراره المكين إلى الوقت المعلوم، يسبح طوال ذلك فى سائل مائى به كل السكريات والبروتينات والأملاح غير العضوية التى يحتاجها، يحفظ السائل غشاء متين هو الغشاء الأمنيونى، ويتلقى السائل الأمنيونى غذاءه من الأم عن طريق طبقة ثانية هى غشاء المشيمة (الذى كان بادىء الأمر: جدار البويضة الملقحة الذى تعلق بجدار الرحم ثم ظل ينمو بنمو الجنين)، يقوم غشاء المشيمة بشكل انتقائى بنقل الأغذية والأكسجين من جدار الرحم إلى السائل الأمنيونى، كما يلفظ فضلات الجنين كالبولينا وثانى أكسيد الكربون، أما الغشاء الثالث فهو الغشاء المبطن للجدار الداخلى للرحم (الغشاء الساقط) وقد تضخم إلى غشاء اسفنجى امتلأ بالدم الذى يخدم العمليات الحيوية للجنين، هذه إذن ظلمات ثلاث تحتضن الجنين وتمده بما يحتاجه وتخلصه من الفضلات فينمو فيها وبها خلقا من بعد خلق، وقد تكون الظلمات الثلاث هى :

١ – المبيض الذى يختزن بويضات الأنثى إلى حين انطلاقها.

٢ – قناة فالوب التى يتم فيها التلقيح – بمشيئة الله – وبداية الحمل، ثم :

٣ – الرحم الذى ينمو فيه الجنين حتى يرى النور.

وصدق المولى عز وجل من قائل ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ ﴾ [الزمر: ٦][١].

ومن السلف وبعض المفسرين من رأى المقصود بالظلمات الثلاث : جدار البطن والرحم والمشيمة، إلا أن ما ذكرناه من أغشية أو مواضع هى المتعلقة فعلا بالجنين وتطوره خلقا بعد خلق، ثم ينتهى دورها بخروج المولود إلى النور.

---

(١) اختلفت الآراء فى تحديد الظلمات الثلاث بين : ١– البطن والرحم والمشيمة (التى يقصد بها كل ما يغلف الجنين بصفة عامة)، ٢– الرحم والسلى والرهل، ٣– البطن والظهر والرحم، ٤– المبيض وقناة فالوب والرحم، والأخير هو الأرجح لانها ثلاث متفرقات فى أماكن مختلفة (وفى مراحل مختلفة لنشأة الجنين– المؤلف) اما الآراء الاخرى فإنها تشير فى الواقع إلى ظلمة واحدة فى مكان واحد تحيط به طبقات متعددة، ولعل الخالق العظيم قد أومأ فى كتابه الى هذه الحقيقة العلمية فى زمن لم يكن الناس قد اكتشفوا فيه بويضة الثدييات ومسلكها . . . (المنتخب)

٥ / ٦ الروح :

الروح كيان يميز الحى عن الميت ولا يجادل فى وجودها أحد ولكن ما هو ذلك الروح، الذى يجعل القلب ينبض تلقائيا، وهو بعد مضغة وجنين فى ظلمات الرحم، ويجعل المخ يعمل ويتلقى الرسائل ثم يلقى الأوامر الى كل خلية من خلايا الجسم فى نظام رائع متشابك، وهو أيضا الروح الذى بخروجه - لسبب أو لغير سبب مفهوم - تنتهى الحياة، لقد تحدى الله البشر أن يدركوا من أمرها شيئا :

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [الإسراء: ٨٥].

وقد مرت قرون ظن فيها بعض بنى البشر أنهم قد أوتوا من كل شيء علما، ولكن أحدا منهم لم تأته بعد بارقة من معرفة بكنه الروح التى اختص الله نفسه بعلمها، تحد قائم مازال معجزا حتى هذا الزمان وفى كل زمان.

٥ / ٧ القرار المكين :

استقرار جنين فى رحم أم تسعى وتشقى وتتعرض لشتى عوارض الحياة طوال أشهر تسع، معجزة من معجزات الخلق، والإشارة إلى ذلك بعبارة ﴿ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾ [المؤمنون: ١٣][(١)] دليل على صدق القائل العليم، لقد حار القدماء فى مغزى ذلك «القرار» حتى تبين لنا بالعلم أنه قرار بلغ من عظمة التصميم وحكمة الخلق ذروته، فمن ذلك وضع الرحم فى عظام «الحوض الحقيقى»، وربطه بواسطة عضلات بجدران الحوض (مع استمرار النمو الكبير للجنين)، ومؤازرته بعضلات الحوض والعجان (نسيج ضام يربط عنق الرحم بالمثانة من ناحية، وبالمستقيم من ناحية أخرى)، وغير ذلك مما يحمى الجنين، كالأغشية الثلاث التى أشرنا اليها من قبل، والسائل الأمنيونى الذى يسبح فيه الجنين فلا يتأثر بحركة الأم، والذى يمنع الأغشية من الالتصاق بالجنين عند الولادة، كما يوسع - لكونه جيبا للمياه - عنق الرحم ليخرج الوليد إلى النور بسلام.

---

(١) «فى قرار مكين»: ثابتة فى الرحم الغائرة بين عظام الحوض، المحمية بها من التأثر باهتزازات الجسم، ومن كثير مما يصيب الظهر والبطن من لكمات وكدمات، ورجات وتأثرات... (الظلال).

٥ / ٨ الجلد :

الجلد مركز الإحساس بالألم لوخز أو حرق أو ما إلى ذلك، ذلك أمر معروف، تفسيره العلمى أن أعصاب الجلد تنقل إشارات إلى مراكز الاحساس بالمخ، أما ما لم يعرفه البشر إلا حديثا فهو أن الإنسان يفقد إحساسه بالألم عندما تتلف أعصاب الجلد هذه بمؤثرات كالحرق أو الجذام، وقد أنذر القرآن الكريم الكافرين والمنافقين؛ والعاصين المصرين، بالخلود فى نار جهنم، وهناك - كى يتجدد إحساسهم بالألم ولا يفتر عنهم العذاب - تبدل جلودهم أولا بأول، كما جاء فى قول الخالق العليم :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء : ٥٦][١].

٥ / ٩ البصمات :

إن الخطوط المميزة لبصمات الأصابع، والتى لا تتكرر بين إنسان وإنسان، فى أى زمان أو مكان، حقيقة علمية لم يكتشفها الطب الشرعى إلا فى القرن التاسع عشر، ليعتمد عليها علم الجريمة بعد ذلك فى كشف الجرائم، ومن هنا كان إعجاز القرآن - فى معرض الرد على منكرى البعث - بالتنويه بقدرة الله تعالى فى تسوية؛ ثم إعادة تسوية، أطراف الأصابع (البنان) بأدق تفاصيلها المتميزة لكل انسان، ذلك البنان الذى يبدو - لمن لا يعلم - ضئيل الشأن، لا يستحق فى القرآن ذكرا، بينما هو دليل على دقة الله فى خلقه، والتى لا يدرك قدرها إلا العالمون، واختصاص البنان بالذكر فى الآية آية على علم منزل القرآن العظيم :

﴿ أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ . بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴾ [القيامة : ٣، ٤][٢].

---

(١) تدل على شدة العذاب... بدليل ما تقرره الحقيقة العلمية من ان الاعصاب المنتشرة فى طبقات الجلد هى أكثر الأعصاب حساسية لمختلف المؤثرات من حرارة وبرودة (المنتخب).

(٢) ذكر البنان لما فيها من غرابة الوضع ودقة الصنع، لأن الخطوط والتجاويف الدقيقة... لاتماثلها خطوط أخرى... معجزة علمية (الصفوة)، اثبت العلم الحديث انه لاتتشابه بصمتا بنانين (المنتخب).

٥ / ١٠ الرائحة :

أفاد الطب الشرعى الحديث أن رائحة كل انسان مميزة له عن غيره من سائر البشر – تماما كبصمات الأصابع – ومن هنا تستخدم الكلاب البوليسية، بما أوتيت من قوة حاسة الشم فى تعقب المجرمين، ويتفق ذلك تماما مع ما جاء فى سورة يوسف من أن الله تعالى قد اختص نبيه يعقوب بهذه القدرة :

﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلا أَن تُفَنِّدُونِ ﴾ [يوسف : ٩٤][١].

٥ / ١١ المناعة :

أظهر الطب الحديث الدور المعقد والرائع لكل من المناعة الطبيعية والمكتسبة، وتتمثل المناعة الطبيعية فى الإفرازات السطحية المقاومة للبكتريا فى الجلد وفى الأغشية المخاطية، وفى مواد مضادة للبكتريا فى الأنسجة وسوائل الجسم؛ وفى خلايا الدم الملتهمة (من كرات الدم البيضاء وبعض أنواع البكتريا داخل الجسم) التى تقاوم البكتريا المعادية، أما المناعة المكتسبة فتتمثل فى الأجسام المضادة والخلايا المضادة، وقال فى ذلك عزّ من قائل :

﴿ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾ [الطارق : ٤] .

ولقد فهم العلامة ابن كثير فى تفسيره الشهير الذى أخرجه فى القرن الثامن الهجرى من هذه الآية أن « كل نفس عليها من الله حافظ يحفظها من الآفات »، دون أن يعرف هذه التفاصيل الحديثة التى فصلتها تجريبيا دراسة الميكروبيولوجيا . آية أخرى للإعجاز القرآنى .

---

(٢) يقول بعض المفسرين . . . إنها منذ فصلت (العير) من مصر، وانه (النبى يعقوب) شم رائحة القميص من هذا المدى البعيد، ولكن هذا لا دلالة عليه، فربما كان المقصود لما فصلت العير عند مفارقة الطرق فى أرض كنعان، واتجهت إلى محلة يعقوب على مدى محدود، ونحن بهذا لاننكر أن خارقة من الخوارق يمكن أن تقع لنبى كيعقوب؛ من ناحية نبى كيوسف، كل ماهناك أننا نحب أن نقف عند حدود مدلول النص القرآنى أو رواية ذات سند صحيح . . . ودلالة النص لاتعطى هذا المدى الذى يريده المفسرون (الظلال) .

٥ / ١٢ السمع :

تكرر فى القرآن تقديم «السمع» على «البصر» (١٥ آية) ولذلك مغزى طبى عميق إذ يتسق مع ترتيب اكتساب الحواس لدى الانسان بعد ولادته فى مثل قوله :

﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل : ٧٨] .

كما يتسق تقديم السمع على البصر مع الحقائق الآتية :

– استمرار حاسة السمع؛ دون البصر، ليلا ونهارا حتى أثناء النوم .

– الأهمية النسبية للسمع عن البصر فى التلقى والفهم والحفظ والتفاعل الاجتماعى .

كما عبر الحديث الصحيح عن بداية تكوين أعضاء السمع بلفظ غاية فى الدقة وهو شق السمع، فى قوله ﷺ :

« سجد وجهى للذى خلقه وصوره وشق سمعه وبصره »

ومن المعروف أن قناة السمع الخارجية تتشكل فى الجنين ثم تغلق، وتظل كذلك حتى الشهر السابع حيث تنشق لتبدأ حاسة السمع فى العمل، وكذلك تنشق عدسة العين المغطاة حينئذ بالمحفظة العدسية الوعائية التى تتخللها أوعية دموية تضمر فى الشهر السابع فتنشق فى وسطها فتحة : هى حدقة العين، ثم تنشق الجفون الملتصقة .

٥ / ١٣ شدة الصوت :

حواس الانسان قد خلقها الله وحدد مداها الذى لاتحيد عنه، فنحن نرى الأشياء التى ينعكس منها ضوء طوله الموجى منحصر بين الأشعة الحمراء فى الجانب الأطول والأشعة البنفسجية فى الجانب الأقصر فحسب، ولكننا لانرى الموجات الأطول (كالأشعة تحت الحمراء)، ولاالأقصر (كالأشعة فوق البنفسجية والسينية والكونية)، وكذلك السمع له حدوده فلاتدرك الأذن من الأصوات إلا ما كانت ذبذباته فى المدى المسمى بالموجات الصوتية، بينما لانشعر بموجات اللاسلكى ولا الموجات فوق الصوتية، وحساسية الأذن أيضا حساسية محدودة لشدة الصوت، فلاتميز الأصوات لو قلت شدتها عن $١٠^{-١٢}$ وات /م٢ (بداية مقياس الديسيبل)؛ ولاتتحمل الأصوات

التى تزيد شدتها عن ٢٠٠ ديسيبل، ولو زادت لصعق الإنسان ومات على الفور، وذلك بيان صادق لقوله تعالى فيما يصف به قيام الساعة:

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ [الزمر: ٦٨].

فالأولى صعق بشدة الصوت لمن كان حيا يومئذ، والثانية بعث وإعادة للخلق، كما خلق الإنسان أول مرة من عدم، بأمر الله تعالى وقدرته.

كما جاء فى هول صيحة القيامة آيات كثيرة منها:

﴿ إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴾ [يس: ٢٩].

﴿ وَمَا يَنظُرُ هَؤُلاءِ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴾ [ص: ١٥].

وجاء أيضا ذكر الصعق بشدة الصيحة فى قصة ثمود قوم صالح عليه السلام فى عدة آيات منها: (هود/٦٧، هود/ ٩٤، الحجر/٧٣، الحجر/٨٣، المؤمنون/٤١، القمر/٣١).

الفصل السادس

الطب البشرى

٦ / ١ الطعام:

علمنا الهدى القرآنى والمدرسة النبوية – قبل أن يكون ثم مدارس وطب حديث – مضار الإسراف فى الطعام، وفضل الاعتدال فى المآكل والمشرب، وتنظيم أوقات الوجبات، وذلك كله أساس الصحة والنشاط؛ وعماد كل علاج، بل إن القدر الرئيسى مما يستهلكه عالم اليوم من دواء يتعلق بأمراض مصدرها الجهاز الهضمى أو شاركت فى استفحالها أسباب غذائية، بينما علمنا الإسلام منذ قرون ما تنطق به هذه الآيات والأحاديث:

﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

قال ﷺ:

(نحن قوم لانأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لانشبع) (مسلم).

(المؤمن يأكل فى معىً واحد والكافر يأكل فى سبعة أمعاء) (البخارى).

(ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه) (الترمذى).

(أكثر الناس شبعا فى الدنيا أطولهم جوعا يوم القيامة) (البزار).

(أصل كل داء البردة (أى التخمة) (السيوطى فى الجامع الصغير).

كما علمنا الرسول الكريم أيضا الأسلوب الصحى لتناول الطعام، كيف نجلس:

(لا آكل متكئا) (البخارى).

(مارئى رسول الله ﷺ يأكل متكئا قط) (أبو داود وابن ماجة وأحمد).

وكيف نتأنى فى ابتلاع الطعام، وذلك لاعطاء هواء المعدة فرصة الخروج فيجنب

المرء ما قد يصيبه من انتفاخ فى المعدة والقولون؛ أو صعوبة فى الهضم وفى التنفس:

(لاتشربوا كنفس واحد شرب البعير ولكن اشربوا مثنى وثلاث، وسموا إذا أنتم شربتم، واحمدوا الله إذا أنتم فرغتم) (الترمذى).

٦ / ٢ الصيام:

الصوم أفضل العبادات ثوابا لدى المولى عز وجل، وهو مدرسة الصبر والجَلَد، وقد بين الطب الحديث ما للصوم من فوائد طبية: سواء كعادة غذائية سنوية كل رمضان، أو كنافلة لمن يستزيد من فضل الله ورضاه تمتد فوائد الصوم من تقليل مضار السمنة وسكر الدم؛ والزلال عند السيدات، إلى تخفيف حدة أمراض القلب وتصلب الشرايين؛ وما يصحبها من تضخم حجرات القلب وتورم الساقين والقدمين، إلى راحة المعدة والقولون وتحسين الهضم وزيادة فاعلية العقاقير والمساعدة على تفتيت الحصوات، إلى تجديد الخلايا بشكل عام والقضاء على البؤر الصديدية، إلى جانب ما يصحب الصيام من تنشيط الذهن وتخفيف التوتر النفسى وضغط الدم، فلم يكن عجيبا فى يومنا هذا أن تنشأ مصحات فى بلاد مختلفة تعالج الناس بالصوم:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ . شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣ - ١٨٥].

تؤكد هذه الآيات ما فى الصيام من فوائد لايعلمها إلا الله ومن يعلمون (وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون).

المتأمل فى توقيت صوم رمضان يرى الحكمة فى اختيار الشهور القمرية، حيث يدور وقت الصيام تدريجيا من عام إلى عام عبر فصول السنة، فلايستأثر بلد بصوم الصيف دوما ولاصوم الشتاء دوما.

٦ / ٣ اللحوم :

الأصل فى الأشياء الإباحة، وما حرم الله شيئا إلا لحكمة؛ تخفى علينا حينا حتى نهتدى إليها، ربما بعد قرون، ويتجلى ذلك واضحا فى تحريم لحوم الميتة والدم ولحم الخنزير. أضرار الميتة تتلخص فى أن عدم إسالة دمها يساعد على نمو البكتريا فى الدم المحتبس، كما يحمل دمها مركبات نشادرية قد تؤثر على مخ آكلها كما قد تحمل الميتة أمراضا أو تكون قد ماتت مسمومة؛ أما الدم فسريع امتصاص الميكروبات، فإذا ما تعرض للهواء تتجمع فيه البكتريا؛ وبالدم مواد مهيجة ترفع ضغط الدم، أما لحم الخنزير فيحمل العديد من الطفيليات الخطيرة، وأخطرها دودة تينيا سويلم التى يعد الخنزير العائل الوحيد لها، والتى تكمل دورة حياتها داخل جسم الانسان، وقد تستقر فى مخه فتصيبه بالجنون أو العمى، وقد تعرضه لاحتمال الانسداد المعوى من جراء كتل الديدان وما تفعله الديدان بجدران القناة الهضمية؛ ودودة أخرى خطيرة هى دودة التريخنيا التى تخترق جدران المعدة، ومنها إلى العضلات والأعضاء المختلفة، كما أن الخنزير أكثر الحيوانات احتفاظا بحمض البوليك؛ وذلك الحمض — هو ودهن الخنزير — عسر الهضم وله أبلغ الضرر على الدورة الدموية والمفاصل، ألا يعلم من خلق، بلى وهو اللطيف الخبير، القائل :

﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخنزيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٧٣] .

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخنزيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة : ٣][١] .

الموقوذة : المضروبة بعصا أو حجر، المتردية : التى تسقط من جبل ونحوه،

---

(١) سبق القرآن الطب الحديث بتحريم... « المنتخب »، المنخنقة : من خنقه عصر حلقه حتى مات، الموقوذة التى وقذت (ضربت) بالعصا حتى ماتت (الوسيط)، المتردية التى تقع من جبل أو تطيح فى بئر، أوتسقط من موضع مشرف فتموت (اللسان)، النطيحة، ماتناطح فمات (اللسان)، ذكيتم : من ذكى الشاة ذبحها (الوسيط)، والتذكية : الذبح على التمام (اللسان) .

النطيحة: مانطحتها أخرى فماتت؛ ما أكل السبع: أى أكل بعضه (جزءا منه) فمات.

﴿قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٥].

ولما كان الإسلام هدى الله العليم فلم يذهب إلى ما ذهبت إليه بعض الشرائع من إفراط فى تحريم ما أحل الله، فحرموا لحوم الحيوان بإطلاقها: إما دائما وإما فى إطار تحوير عبادة الصيام كما شرعها الله (كما كتب على الذين من قبلكم) إلى صيام عن الطعام الحيوانى فحسب. أكد القرآن تحليل الذبائح بأنواعها عدا ما أشرنا إليه من محرمات، وقد أثبت الطب الحديث الأهمية القصوى لتناول البروتينات الحيوانية، إذ أن هذا النوع من البروتينات هو المصدر الوحيد لتكوين الأجسام المضادة التى تدافع عن الجسم وتحميه من الجراثيم والميكروبات.

من شروط الذبح الإسلامى التذكية: أى إسالة دم الذبيحة لتصفية الدم الفاسد، ويتم ذلك إما بقطع الحلقوم والمرىء والودجين (أى الذبح) وذلك للبقر والغنم والطيور، أو بالطعن فى اللبة (المنحر) إلى مبدأ الصدر (أى النحر) وذلك للإبل وأحياناً للبقر،أو جرح الحيوان غير المقدور عليه فى الصيد (العقر) كما جاء فى الأحاديث الشريفة:

(ألا إن الذكاة فى الحلق واللبة) (الدارقطنى).

(ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوا مالم يكن سنا أو ظفرا) (الجماعة).

وليسأل القارىء نفسه من الذى هدى النبى الكريم ﷺ إلى هذا الأسلوب الذى أثبت الطب الحديث حكمته، كما جاء فى تقرير منظمة الصحة العالمية عام ١٩٨٨ من الميلاد.

٦ / ٤ العسل :

أشاد الله ورسوله فى القرآن والحديث بفوائد عسل النحل، فإلى جانب سهولة تمثيله وامتصاص سكرياته، ثبت تجريبيا قضاؤه على الكثير من الجراثيم بفضل مابه من مضادات حيوية تفرزها النحلة الشغالة، كما استخدم فى مجالات تعقيم الجروح من التقيح -والتى يساعد العسل أيضا على سرعة التئامها، وفى شفاء التهابات الأنف والحنجرة، وقد اكتشف مؤخرا أنه المادة الوحيدة فى الطبيعة التى يتوافر بها عقار الأنترفرون المضاد للنمو السرطانى، كما لوحظ أنه يساعد - بإذن الله - على مقاومة أعراض الشيخوخة، وأكثر من يطلق عليهم المعمرون يواظبون على تناوله، كما تتضح فوائده يوما بعد يوم لمرضى القلب والكبد وقرحة المعدة والحمى الروماتزمية والتيفود، وفى مقاومة التسمم الخارجى والداخلى، كما أن له تأثيرا مساعدا لتخفيف أعراض الاكتئاب والأمراض النفسية وضيق التنفس؛ وكذلك لجلب النوم الهادىء، كما يستخدم فى علاج بعض الأمراض الجلدية كالأرتكاريا والأكزيما، حتى ظهرت مراجع متخصصة تتناول فوائد وأوجه العلاج بعسل النحل كتبها مؤلفون غير مسلمين (تضاف إلى العديد من كتابات العلماء المسلمين) مثل :

- « عسل النحل »، تأليف إيفاكرين، طبع هاينمان، ١٩٧٥ .

- « العلاج بعسل النحل »، تأليف د . ن . يويريش، ترجمة محمد الحلوجى وصدق تعالى فى قوله :

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ . ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل : ٦٨، ٦٩][١] .

وصدق الرسول الكريم فى حديثه :

(عن أبى سعيد أن رجلا أتى النبى ﷺ فقال : أخى يشتكى بطنه، فقال : اسقه عسلا، ثم أتاه الثانية فقال : اسقه عسلا، ثم أتاه الثالثة فقال : اسقه عسلا، ثم أتاه

---

(١) العسل مفيد فى كثيرمن الأمراض ويعطى بطريق الحقن والفم والشرج بصفته مقويا . . . وضد التسمم من مختلف المعادن، وضد التسمم الناشئ من أمراض الأعضاء، مثل التسمم البولى والصفراء وغيرهما، وبه نسبة عالية من الفيتامينات وخاصة ب المركب (المنتخب) .

فقال: قد فعلت، فقال: صدق الله وكذب بطن أخيك اسقه عسلا، فسقاه فبرأ) (البخارى).

(شفاء أمتى فى ثلاث: شربة عسل، وشرطة لحم، وكيّ وما أحب أن أكتوى) (البخارى).

٦ / ٥ الرضاع:

حض القرآن الكريم على الرضاعة الطبيعية للأطفال، ثم أثبت العلم الحديث أهمية لبن الأم لحسن تغذية المولود ولوقايته من العدوى ومن أمراض الحساسية والفم، ولوقاية الأم من مشاكل الثدى والعمل على استقرار الرحم بعد الولادة والمساعدة فى تنظيم الحمل، ولتوفير الاحساس بالدفء والأمومة للرضيع، وجاء ذلك فى القرآن بثلاث صور مختلفة فى آيات ثلاث:

١ - ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا لا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلادَكُمْ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٣٣][١].

٢ - ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾ [لقمان: ١٤].

٣ - ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأحقاف: ١٥][٢].

---

(١) وتثبت البحوث الصحية والنفسية اليوم ذلك، ولكن نعمة الله على الجماعة المسلمة لم تنتظر بهم حتى يعلموا هذا من تجاربهم «الظلال».

(٢) (الأحقاف: ١٥) وقد استدل العلماء بهذه الآية مع التى فى لقمان (لقمان / ١٤): «وفصاله فى عامين» على ان اقل مدة الحمل ستة أشهر وهواستنباط قوى صحيح (الصفوة)، أقل مدة الحمل ٦ شهور لهذه الآية والآيتين الأخريين، فبإسقاط مدة الفصال عن مدة الحمل والفصال يبقى للحمل ستة أشهر، وهذا يتفق مع ماثبت علميا من أن الطفل إذا ولد لستة أشهر فإنه قابل للحياة (المنتخب).

وبيان ذلك علمياً: أن لبن الأم به نسبة عالية من البروتينات والسعرات الحرارية؛ ومن الأملاح والأجسام المضادة للأمراض، وهو دائما معقم يخرج فى درجة حرارة تناسب الرضيع صيفا وشتاء، يتغير لبن الأم فى تركيبه منذ لحظة الولادة؛ فلبن الأيام الثلاث الأولى (المسمى باللبأ أو الكلوسترومى) به نسبة عالية من البروتينات والمضادات الحيوية التى تحمى المولود فى هذه المرحلة المبكرة؛ ثم يتطور تركيبه مع احتياجات الرضيع وقدرته على تمثيل الغذاء - طوال فترة الرضاعة، تفرز المرضع هرمون البرولاكتين الذى يعمل على عودة الرحم إلى طبيعته، كما أن الإفراز المستمر للبن بالإرضاع يحمى الأم من الخراريج المزمنة التى يسببها تجمع اللبن بالثدى - والتى تزيد احتمال تكون الأورام الحميدة والخبيثة، وقد فطن العلم الحديث مؤخراً إلى هذه الحقائق، فقامت حملات وبرامج عالمية منظمة لنشر الوعى، والتأكيد على مواصلة الرضاعة الطبيعية طوال العامين الأولين من حياة الطفل - كما حددها القرآن - حفاظا على صحة الأم والطفل، إلى جانب دورها كوسيلة ثانوية لتنظيم الحمل: إما إراديا لضمان استمرار لبن الأم - حتى لاينقطع بالحمل، أو لا إردايا حيث يعمل الإرضاع فى كثير من الأحوال على تأخير عودة الدورة الطبيعية للأم.

لو تأملنا فى آيات الرضاع الثلاث لتبين لنا مدى الدقة المعجزة فى التعبير عن ثلاث أحوال للحمل والولادة بتعبيرات تتطابق مع كل حالة:

- الحالة الأولى حيث الحمل والولادة؛ والأم والمولود؛ فى أحسن حال، يكون الرضاع لحولين كاملين،

- الحالة الثانية حيث تكون الأم ضعيفة البنية والصحة؛ ولكن الحمل والولادة قد سارا بسلام، تكون مدة الرضاعة عامين دون اشتراط كمالهما - تبعا لقدرة الأم،

- أما الحالة الثالثة؛ والتى وردت فيهاكلمة «كرها» مرتين - تعبيراً عن مدى التعب والمعاناة فى الحمل والوضع؛ وعادة ماتكون فيها مدة الحمل أقصر، فقد تنقص إلى ستة شهور فيحتاج الطفل إلى فترة الرضاعة القصوى لتعويض ضعفه - إذا أمكن - ليصل مجموع فترة الحمل والرضاع إلى ثلاثين شهرا، وقد يطول الحمل - بمشقة شديدة فى هذه الحالة - إلى تسعة شهور، وهنا ينبغى تقليل مدة الرضاعة تيسيرا على الأم إلى أقل من ٢١ شهراً.

ومن ناحية أخرى قد يستنبط من قراءة الآيات مجتمعة أن الحد الأدنى للحمل

ستة شهور – وهو ماثبت علميا.

٦ / ٦ الخمر :

أضحت مشكلة الخمر أو «الكحولية» أخطر عامل يهدد صحة العالم، وأصبح في تأثيره المدمر – طبقا لاحصائيات أجريت عام ١٩٨٧م – أخطر من المخدرات ومن السرطان ومن الإيدز، ذلك الشراب الذى حرمه الإسلام منذ أربعة عشر قرنا، وحرمته الشرائع السماوية قبل ذلك (وقبل أن يُحَرَّف فيها ماحُرِّف)؛ قبل أن يعرف البشر مانعرفه الآن من حكمة تحريم الخمر من الناحية الطبية – إلى جانب الحكمة التربوية والاجتماعية والتشريعية، فثمة «موسوعة» من الأمراض مصدرها ذلك الرجس اللعين: من أمراض للجهاز الهضمى كالقرحة وتسمم الخمائر المعوية والإخلال بتمثيل الفيتامينات والتهابات الكبد وتليفه وتسمم الكلى بالبولينا، إلى أمراض الجهاز العصبى المركزى وإضعاف الذاكرة وتشويش العقل، إلى أمراض الأنف والأذن والحنجرة كالصمم العصبى الناتج عن التسمم الكحولى والتهاب الحلق والحنجرة والبلعوم والتهاب الأحبال الصوتية المؤدى إلى سرطان الحنجرة، إلى التأثير على العصب البصرى، وإضعاف الجهاز المناعى، والتأثير على عضلة القلب والمساعدة على تصلب الشرايين، واحتقان الجهاز التناسلى وضمور الخصيتين، وأخيرا مرض الإدمان الكحولى، سبحانك ربى وسعت كل شئ علما وأنت القائل:

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٩].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة: ٩٠، ٩١].

ثم يبين الرسول ﷺ منهج المسلم فى قطع الطرق وسد الذرائع الموصلة إلى الإدمان فى أحاديثه:

(كل شراب أسكر فهو حرام) (البخارى).

(كل مخمر خمر وكل مسكر حرام) (أبو داود) .

(كل مسكر خمر وكل خمر حرام) (مسلم وأحمد وأبوداود) .

(كل مسكر حرام) (أحمد والبخارى ومسلم) .

(من شرب الخمر لم يقبل الله منه صلاة أربعين صباحا) (الترمذى وابن ماجة وأحمد) .

(لعن الله في الخمر عشرا : عاصرها ومعتصرها وشاربها ومقدمها وحاملها والمحمولة إليه وبائعها وشاريها ومهديها وآكل ثمنها) (ابن ماجة والترمذى) .

(إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم) (البخارى) .

٦ / ٧ الحيض :

قال تعالى : ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ** ﴾ [البقرة : ٢٢٢] .

الأمر بتجنب الجماع أثناء المحيض إعجاز طبى كشفت حكمته المعارف الطبية الحديثة لمضاره على الجنسين؛ التى ترجع إلى ضعف حمضية المهبل (اللازمة لقتل الميكروبات) واحتمال وصول مادة البروستاجلاندين الموجودة بالمنى إلى دم المرأة — وهذه المادة تؤدى إلى نقص المناعة، كما أن الجماع فى ذلك الوقت يؤدى إلى تسلخات تساعد على نمو البكتريا، وانقباضات الرحم خلاله تدفع هذه البكتريا إلى تجويف الرحم .

ولنفس الحكمة أيضا هدى الله رسوله ﷺ إلى النهى عن إتيان الدبر فى الأحاديث :

(ولا تأتوا النساء فى أعجازهن، فإن الله لايستحى من الحق) (الترمذى وأحمد والدارمى) .

(إن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة أخرجوها من البيت ولم يؤاكلوها ولم يجامعوها . . . . فسأل أصحاب رسول الله ﷺ : مايصنعون . . . فقال : اصنعوا كل شئ ماخلا النكاح) (مسلم) .

(من أتى امرأة فى دبرها لم ينظر الله إليه يوم القيامة) (القرطبى فى تفسيره).

٦ / ٨ العـدة :

فى تشريع الطلاق وقَّت الله سبحانه وتعالى مدة العدة بثلاث حيضات، قبل أن ترتبط المرأة بزواج جديد، وحكمة ذلك أنه قد ثبت أن دم الحيض قد يأتى بعد وقوع الحمل (الاستحاضة) ويتكرر؛ قبل أن يملأ الجنين الرحم – أى فى الشهور الثلاث الأولى؛ وفى مثل هذه الحالات قد تستحيض الحامل مرة واحدة « أحياناً »؛ أو مرتين « نادراً »، بينما « يستحيل » علميا أن تستحيض الثالثة، **﴿ ألا يعلم من خلق، بلى وهو اللطيف الخبير ﴾**، وهذه آيات التشريع:

﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ وَلا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٢٨](١).

﴿ وَاللائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُوْلاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾ [الطلاق : ٤].

٦ / ٩ الزنـــا :

حرم الله الزنا وسدَّ الذرائع المؤدية إليه؛ بالدعوة إلى الاحتشام ومنع الفتنة التى يسببها التزين المفرط أو التعطر المثير، وذلك لحكمة لم يدركها العلم حتى ظهور المجهر واكتشاف ميكروبات الأمراض التناسلية؛ التى لاتنتقل وتنتشر إلا بالعلاقات الجنسية المحرمة أو الشاذة؛ كأمراض الزهرى والسيلان؛ بمضاعفاتها الخطيرة التى تودى بأجهزة الجسم وتفتك بالحياة، ثم مرض الإيدز : مرض نقص المناعة الذاتية وطاعون العصر – عصر الجاهلية الجديدة :

---

(١) وذلك ان الاستبراء لايكون مؤكدا إلا بعد ثلاث حيضات، والحامل لاتحيض عادة، وإن حاضت فإن ذلك يكون مرة أو مرتين على الاكثر، إذ ان الجنين يكون قد نما بعد هذه المدة إلى درجة يملأ معها تجويف الرحم فيمنع نزول دم الحيض... وماكان معلوما عند العرب، وماكان للنبى الأمى ان يعلمه (المنتخب).

﴿ وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾ [الإسراء : ٣٢] .

﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النور : ٢] .

﴿ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ [الفرقان : ٦٨] .

ولأن الإسلام رسالة الخالق العليم الذى يعلم طبيعة خلقه؛ فلم يكتف بالموعظة وبالنهى عن الزنا وسن الحدود والعقوبات، بل سد كل السبل المؤدية إليه فى المجتمع، وذلك مايفهم أيضا من عبارة « لاتقربوا » أى ابتعدوا عنه وعن كل مقدماته، فأوجب الاحتشام فى الزى :

﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور : ٣١] .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٩] .

وأكد ذلك أحاديث الرسول ﷺ ومنها :

(يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا . . . وأشار إلى وجهه وكفيه) (أبو داود) .

(صنفان من أهل النار لم أرهما : رجال بأيديهم سياط كأذناب البقر، ونساء كاسيات عاريات، مائلات مميلات، لايدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليُشم من مسافة كذا وكذا) (أحمد ومسلم) .

(لا يقبل الله صلاة من امرأة خرجت إلى المسجد وريحها تعصف حتى ترجع

فتغتسل) « أى لتذهب رائحتها قبل دخول المسجد » (أبوداود وابن ماجة وابن خزيمة) .

(أيما امرأة أصابت بخورا فلا تشهدان العشاء) (أبوداود والنسائى) .

وأمر تعالى بغض البصر:

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ . وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ .... ﴾ [النور: ٣٠، ٣١] .

ولم يكتف ببيان النواهى والمحظورات، بل حض على الزواج الحلال ويسر سبله:

﴿ وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور: ٣٢] .

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١] .

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٨٩] .

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ [النحل: ٧٢] .

﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُم بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النساء: ٢٥] .

وقال رسول الله ﷺ فى التشجيع على الزواج:

(ثلاثة حق على الله عونهم: المجاهد فى سبيل الله، والمكاتب الذى يريد الاداء، والناكح يريد العفاف) (الترمذى والنسائى) .

(تزوجوا الودود الولود، فإنى مكاثر بكم الأمم يوم القيامة) (أبو داود والنسائى وأحمد) .

(يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء) (الجماعة) .

(الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة) (مسلم) .

(... أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكنى أصوم وأفطر، وأصلى وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتى فليس منى) (البخارى ومسلم) .

(ما استفاد المؤمن - بعد تقوى الله عز وجل - خيرا له من زوجة صالحة) (ابن ماجة) .

وأباح الطلاق - عند تعذر استمرار العشرة، وكذلك تعدد الزوجات - للضرورة القصوى؛ وبشرط العدل التام؛ بدلا من الزنا المستتر الذى يتفشى فى الأمم التى تقيد الطلاق ولا تسمح بالتعدد .

٦ / ١٠ اللواط :

هاقد لاح لحضارة أواخر القرن العشرين شبح الطاعون الأبيض : الإيدز؛ والذى ينتشر كالهشيم حيثما انتشر اللواط؛ ومثله البغاء؛ والمعاشرة الجنسية الشاذة، وقد حرم تشريع الخالق العليم كل هذه الانحرافات، وسلط القصص القرآنى الأضواء مراراً على قوم لوط وجعلهم عبرة للعالمين على امتداد الزمان :

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ . إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ [الأعراف : ٨٠، ٨١] .

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ . أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ [النمل : ٥٤، ٥٥] .

﴿ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ . وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾ [الشعراء : ١٦٥، ١٦٦] .

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾ [العنكبوت : ٢٨] .

كما نهى الرسول ﷺ أمته عن اللواط فى أحاديثه :

(إذا أتى الرجل الرجل فهما زانيان) . (البيهقى) .

(من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول) (أبوداود والترمذى والنسائى وابن ماجة) .

٦ / ١١ البرص :

أثبت طب الأمراض الجلدية استحالة علاج مرض البرص أو البهاق ؛ لارتباطه بموت خلايا الميلانين الملونة ؛ والتى يستحيل بعثها من جديد ، وكل ماقد يفعله الطب هو تنشيط ماقد يتبقى من خلايا ؛ لتخفيف الأمر لا لشفائه ، ومن هنا فإن شفاء البرص – علميا – معجزة ، وذكره فى القرآن فى معرض المعجزات التى أجراها الله على يد عيسى عليه السلام يتّفق مع مابينه العلم الحديث :

﴿ وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ٤٩] .

﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [المائدة : ١١٠] .

الفصل السابع

فى الصحة العامة

٧ / ١ العدوى :

انتقال العدوى - سواء بالفيروسات أو البكتريا أو الطفيليات - ليس سببا فى ذاته للإصابة بالمرض، بل قد ثبت أن تأثيره إنما يكون بأمر الله، إن شاء نشطت الجراثيم واستفحلت، وإن شاء سكنت أو استكانت لجهاز المناعة، وقد ظهرت الدراسة الاحصائية أن من بين آلاف يحملون مرضا معينا - وباء كان أم غيره - لايمرض منهم سوى نسبة قليلة من الناس ينشط فيهم الداء دون غيرهم من بنى جنسهم، بل إن المرء قد يحمل المرض سنين طوال دونما أعراض، حتى ينشط المرض فجأة دون سبب طبى مفهوم، وهنا يظهر الإعجاز العلمى فيما هدى الله إليه نبيه ليؤكد لنا أن العدوى ليست وحدها سببا حتميا للمرض:

(لاعدوى ولاطيرة ولا هامة ولاصفر، وفر من المجذوم كما تفر من الأسد) « البخارى ».

(لاعدوى ولاصفر ولاهامة، فقال أعرابى : يارسول الله فما بال الإبل تكون فى الرمل كأنها الظباء فيجىء البعير الأجرب فيدخل فيها فيجربها كلها؟ قال : فمن أعدى الأول؟). « البخارى ».

إلا أنه ﷺ أمرنا بالاحتياط والتحرز عن مخالطة المرضى فى حديثه :

(لايورد ممرض على مصح). « البخارى ».

كما أمر بعزل المرضى ذوى الأمراض المستعصية لسد الأبواب أمام انتقالها إلى من لايملك المناعة الكافية « انظر : الحجر الصحى » .

ولتقليل احتمالات انتشار الأمراض لم يغفل الهدى النبوى أن يأمرنا بنظافة الأيدى قبل وبعد الطعام :

(كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يأكل غسل يديه) « النسائى » .

(أكل ﷺ كتف شاة فمضمض وغسل يديه) « ابن ماجة » .

(من بات وفى يده ريح غَمَر « دسم » فأصابه شيء فلا يلومن إلا نفسه) « الترمذى » .

(إذا استيقظ أحدكم من نومه فلايغمس يده فى الإناء حتى يغسلها ثلاثا، فإنه لايدرى أين باتت يده) « مسلم » .

وأمر بتغطية أوانى الطعام لحمايتها من الحشرات والهوام :

(غطوا الإناء وأوكئوا السقاء) « مسلم » .

(اتقوا الذر « الغبار » فإن فيه النسمة) .

والمقصود بالنسمة أصغر الكائنات أى مانسميه الميكروبات « قاموس الفيروز أبادى : النسمة أصغر الحيوان » .

(أمرنا رسول الله ﷺ أن نوكيء « نربط فوهة » أسقيتنا ونغطى آنيتنا) « ابن ماجة » .

(عن عائشة : كنت أصنع لرسول الله ﷺ ثلاثة آنية من الليل مخمرة « أى مغطاة » : إناء لطهوره، وإناء لسواكه، وإناء لشرابه) . « ابن ماجة » .

كما نهى ﷺ عن الشرب فى القدح المشروخة– لما قد تختزنه من قاذورات فى شقوقها .

٧ / ٢ الدواء :

علمنا الرسول الأمى الذى نشأ فى أمة من أفقر أمم الأرض علما ومالا أن لكل مرض دواء، وأن علينا البحث والتجريب لنهتدى إلى الدواء الناجح، ثم أن علينا التداوى وعلى الله الشفاء بإذنه، ومضت قرون وساد فيها التداوى بالسحر وغيره من ضروب الجهل شتى بقاع الأرض، حتى نشأة علم الأدوية الحديث – والذى وضع أساسه علماء المسلمين، وها هى الأحاديث النبوية تنطق بحكمة وعلم من أنزل الوحى على عبده الأمين:

(ما أنزل الله من داء إلا أنزل له شفاء) « البخارى » .

(ماخلق الله من داء إلا جعل له شفاء، علمه من علمه وجهله من جهله إلا

السام، والسام الموت) . « الطبراني والبزار »

(إن الله أنزل الداء والدواء وجعل لكل داء دواء فتداووا، ولاتتداووا بمحرم) (أبو داود مرفوع) .

(مرض رجل على عهد النبي ﷺ فقال: ادعوا له طبيب بني فلان، فقالوا: يارسول الله تعني الطبيب؟ قال: نعم) . « أحمد »

(دخل رسول الله ﷺ على مريض ليعوده فقال: قائل: وأنت تقول ذلك يارسول الله؟ قال: نعم) . « البخاري ومسلم والترمذي وأحمد والموطأ »

(بعث رسول الله ﷺ إلى أبي بن كعب فقطع منه عرقا ثم كواه) « مسلم » .

٧ / ٣ النظافة :

النظافة من صميم العبادات في الإسلام، الذي انطلق من جزيرة العرب مهد الجاهلية وأهلها في ذلك الزمان؛ نبراسا على أن الوحي ليس نابعا من هذه البيئة بل هو نور أنزله الله بعلمه، لم يترك الإسلام أمرا من أمور النظافة الشخصية إلا وجه إليه وهدى :

أ - الغسل : من آيات التربية الإسلامية الصحية ضرورة الاستحمام بعد الجماع، وهو في هذه الحالة فرض لايصح أداء الصلاة أو مناسك الحج إلا به، ولغير ذلك فإن الإغتسال سنة مؤكدة لصلاة الجمعة الأسبوعية، قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلا جُنُبًا إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ [النساء : ٤٣] .

﴿ . . . وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [المائدة : ٦] .

وفى الحديث الشريف :

« حق الله على كل مسلم أن يغتسل فى كل سبعة أيام : يغسل رأسه وجسده» (مسلم) .

« غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم، ويمس من الطيب ماقدر عليه » (متفق عليه) .

« من أتى الجمعة فليغتسل » (البخارى ومسلم وابن ماجة) .

« كان رسول الله ﷺ يغتسل يوم الفطر ويوم الأضحى » (ابن ماجة) .

« وقت لنا رسول الله ﷺ فى قص الشارب وتقليم الأظفار » (مسلم والترمذى والنسائى وابن ماجة وأحمد) .

وقد كشفت دراسات أمراض الجلد أهمية الاستحمام لإزالة افرازات العرق ومايعلق به من قذر، وما تتكاثر به من بكتريا تصيب الجلد أو الجسم عامة؛ وتفسد الرائحة .

ب - الوضوء : قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ .... ﴾ [المائدة : ٦] .

يؤكد الطب الحديث الفوائد الصحية العظمى للوضوء فى تطهير الجسم ومنع انتشار الأمراض، فقد أثبت دور اليدين كناقل رئيسى للميكروبات، كما أثبتت البحوث التجريبية دور الوضوء الفعلى فى الحد من أعداد البكتريا على سطح الجلد، والأحاديث التى تدعو إلى العناية بالوضوء وتشرح كيفيته كثير نسوق منها :

« الطهور شطر الإيمان » (مسلم) .

« لا صلاة لمن لا وضوء له » (ابن ماجة) .

« مفتاح الصلاة الطهور » (أبو داود) .

« لايقبل الله صلاة إلا بطهور » (ابن ماجة) .

« إن أمتى يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء، من استطاع منكم أن

يطيل غرته فليفعل » (متفق عليه) .

« إذا توضأ العبد المسلم فتمضمض خرجت الخطايا من فيه « فمه »، فإذا استنثر خرجت الخطايا من أنفه، فإذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت أشفار « أطراف أجفان » عينيه، فإذا مسح رأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من تحت أذنيه، فإذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت أظفار رجليه« (مسلم) .

« من توضأ فأحسن الوضوء، خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره« (مسلم) .

بل سن رسول الله ﷺ الوضوء لغير الصلاة :

« سئل النبى ﷺ عن الجنب هل ينام أو يأكل أو يشرب، قال نعم ، إذا توضأ وضوء للصلاة » (ابن ماجة) .

« إذا أتى أحدكم أهله ثم أراد أن يعود فليتوضأ » (مسلم) .

« إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة » (متفق عليه) .

كما يسن الوضوء عند الغضب، وقراءة القرآن والحديث، وتلقى العلم وغير ذلك .

وقد بين الطب الحديث أيضا فوائد الاستنثار أثناء الوضوء فى منع الكثير من الأمراض التى تدخل الجسم عن طريق الأنف « الاستنثار : ادخال الماء إلى الأنف ثم اخراجه »، وهذه أحاديث تدعو إلى العناية بالاستنثار :

« إذا توضأ أحدكم فليجعل فى أنفه ماء ثم ليستنثر » (البخارى ومسلم وأبو داود) .

« أسبغ الوضوء وخلل بين الأصابع وبالغ فى الاستنشاق إلا أن تكون صائما » (الترمذى) .

« عن على رضى الله عنه أنه دعا بوضوء فتمضمض واستنشق ونثر بيده اليسرى، ففعل هذا ثلاثا، ثم قال : هذا طهور النبى ﷺ » (أحمد والنسائى) .

جـ - الاستنجاء : تنظيف المخرجين عقب قضاء الحاجة من المقدمات الواجبة للوضوء، وهو أمر له أهميته الكبيرة فى الحد من التلوث وانتشار الأمراض المعدية،

وتعالوا نستعرض الأحاديث النبوية التى تعد ثقافة متكاملة فى أساليب الصحة العامة وفى حماية سطح الجلد ومنافذه من تسلل الأمراض:

« كان النبى ﷺ إذا تبرز لحاجته أتيته بماء فيغسل به » (متفق عليه).

« ما رأيت رسول الله ﷺ خرج من غائط قط إلا مس ماء » (ابن ماجة).

« عن عائشة قالت تعلم نساء المسلمين مرن أزواجكن أن يستطيبوا بالماء، فإنى أستحييهم، فإن رسول الله ﷺ كان يفعله » (الترمذى).

« إذا تغوط أحدكم فليتمسح ثلاث مرات » (ابن حزم).

د - **تقليم الأظافر** : كشف الطب الحديث بعد قرون من بعثة محمد ﷺ برسالة الإسلام، وأمره بتقليم الأظافر ضمن سنن الفطرة، أهمية ذلك لصحة الفرد منعا لتخزين الأوساخ، بما تحمله من بكتريا وفطريات وفيروسات وطفيليات:

« خمس من الفطرة : الختان والاستحداد ونتف الإبط وتقليم الأظافر وقص الشارب » (البخارى ومسلم).

« يا أبا هريرة قلم أظافرك فإن الشيطان يقعد على ماطال منها » (الغزالى فى الإحياء).

هـ - **الشعر** : أمرنا رسولنا الكريم بالعناية بالشعر فى سائر أنحاء الجسم، فأمر بإزالته من الإبطين والعانة وبقص الشارب، وقد أثبت الطب الحديث ضرورة ذلك لمنع نمو البكتريا والروائح الكريهة بسبب إفرازات الغدد العرقية فى الإبطين والعانة، ولمنع تراكم آثار الطعام وإفرازات الأنف فى الشوارب أو تجمع الملوثات بها، كما جاء فى حديث سنن الفطرة أعلاه.

والإسلام رسالة حضارة أحدثت طفرات فى الجاهلية العربية، ومنها طفرة فى العناية بحسن المظهر والزينة فقال تعالى :

﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ . قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣١، ٣٢].

وجاء فى السنة النبوية :

« أتى رجل رسول الله ﷺ ثائر الرأس واللحية، فأشار إليه رسول الله ﷺ كأنما يأمره بإصلاح شعره ففعل ثم رجع، فقال رسول الله ﷺ : هذا خير من أن يأتى أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان » (مالك) .

« عن أبى قتادة : قلت يارسول الله أن لى جمة أفأرجلها؟ قال : نعم وأكرمها » (النسائى) .

« دخل عليه ﷺ رجل ثائر الرأس أشعث اللحية فقال : أما كان يجد هذا ما يسكن به شعره » (أحمد) .

« خالفوا المشركين « المجوس » وفروا اللحى « أى اتركوها » واحفوا الشوارب « استقصوا قصها » » (متفق عليه) .

و - **الختان** : الختان يمنع تراكم الإفرازات وما تختزنه من بكتريا قد تسبب التهابات تمتد إلى الجهاز البولى والتناسلى، والختان سنة من سنن الفطرة للرجال - كما جاء فى حديث الفطرة الذى سقناه من قبل، أما ختان الإناث فلم يسنه الإسلام أصلا ولم يأمر به، وإنما أجازه النبى عليه الصلاة والسلام لمن يشاء ولكنه نهى عن المغالاة فيه حتى لايؤثر على وظائف الأعضاء، أو يضر بالعلاقة الزوجية :

« يا أم حبيبة إذا أنت فعلت فلا تنهكى فإنه أشرق للوجه وأحظى عند الزوج » . « أبو داود »

ز - **السواك ونظافة الفم** : فى المدرسة الطبية لمحمد بن عبدالله تعلم المسلمون أهمية نظافة الفم والأسنان، قبل نشأة مدارس وعلوم طب الأسنان بقرون :

« لولا أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عندكل وضوء » (الترمذى) .

« السواك مطهرة للفم مرضاة للرب، ماجاءنى جبريل إلا أوصانى بالسواك، حتى لقد خشيت أن يفرض على وعلى أمتى، ولولا إنى أخاف أن أشق على أمتى لفرضته لهم وإنى لأستاك حتى لقد خشيت أن أحفى مقادم فمى « أى أزيل جزءا من اللثة لكثرة السواك » (متفق عليه) .

« إذا توضأت فمضمض » (أبو داود) .

« مضمضوا من اللبن فإن له دسما » (أبو داود) .

« خرج ﷺ مع أصحابه إلى خيبر ثم دعا بأطعمة فلم يؤت إلا بسويق « طعام من دقيق الحنطة والشعير » فأكلوا وشربوا، ثم دعا بماء فمضمض فاه » (ابن ماجة) .

« كان يصلى بالليل ركعتين ركعتين ثم ينصرف فيستاك » (ابن ماجة) .

« كان لا يرقد من ليل ولا نهار فيستيقظ إلا تسوك قبل أن يتوضأ » (أبوداود) .

« كان إذا قام بالليل يشوص فمه بالسواك » (متفق عليه) .

تتضافر هذه الأحاديث لتؤكد المصدر الربانى لسنة النبى الأمى محمد ﷺ .

من ناحية أخرى كشفت دراسات حديثة عن المزايا الطبية لشجرة الأراك « مادة السواك » بالذات، وهو عود نباتى ينمو بالحجاز، به كيماويات مزيلة لصفار الأسنان، وزيوت عطرية مطهرة .

٧ / ٤ الصلاة :

الصلاة – كعبادة – عماد الدين وركنه المكين، وهى مدرسة المسلم ودرعه أمام همزات الشياطين، ولها إلى جانب ذلك فوائد صحية وطبية عميقة، منها : تنشيط شرايين المخ وتقوية جدران المخ الدماغية، ومنها تجنب جلطة الساق الوريدية، وقرح الظهر التى كثيرا ماتصيب قليلى الحركة، وإذا تأملنا فى اختيار أوقات الصلوات الخمس لرأينا آيات أخرى لحكمة الحكيم العليم، فأوقات الصلاة تتناسق مع أوضاع الشمس، يمتد وقت الفجر من حين تكون الشمس مائلة ١٩٠° تحت أفق الشروق إلى وقت ظهورها، بينما يمتد المغرب من غروب الشمس حتى تميل ١٩° تحت أفق الغروب، وذلك وقت العشاء، والظهر عندما تكون الشمس رأسية فوق الرؤوس تماما فيختفى الظل، بينما العصر أوانه عندما يكون ظل الشىء كمثله .

كما تتناسب أوقات الصلاة مع نظام الحياة اليومى وأحوال جسم الإنسان، فيأتى الفجر والجسم بعد لم ينفض كسل النوم، والظهر فى ذروة العمل والنشاط، والعصر بعد كلال الجسم من العمل والسعى، والمغرب فى نهاية صخب النهار وبداية سكون النفس والعقل، وأخيرا يأتى العشاء إيذانا بالنوم والراحة .

﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا

الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴾ [النساء : ١٠٣] .

ومن العسير أن نحصر هنا الشواهد من القرآن والسنة، التى تدعو لاقامة الصلاة والعناية بها واغتنام ماتفتحه على المرء من آيات رضا المولى فى الدنيا والآخرة .

٧ / ٥ الحجر الصحى :

أحد أساليب الطب الوقائى الذى لم تعرفه البشرية إلا فى القرن الماضى : سنه المصطفى عليه الصلاة والسلام منذ أكثر من أربعة عشر قرنا بوحى من العلى القدير، للحد من انتشار مرض الطاعون فقال :

« إن هذا الطاعون رجز على من كان قبلكم « أو على بنى إسرائيل » فإذا كان بأرض فلا تخرجوا منها فرارا منه، وإذا كان بأرض فلا تدخلوها » (البخارى ومسلم) .

« إذا سمعتم بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه » (البخارى ومسلم) .

« عن عائشة رضى الله عنها قالت للنبى ﷺ : يارسول الله فما الطاعون؟ قال غدة كغدة الإبل، المقيم فيها كالشهيد، والفار منها كالفار من الزحف » (أحمد) .

ومن المدهش أيضا فى الحديث الأخير وصف الرسول الكريم لأعراض الطاعون بدقة تتفق مع الوصف العلمى، كما جاء أيضا فى الحديث التالى :

« عن عائشة رضى الله عنها قالت للنبى ﷺ : الطعن عرفناه فما الطاعون؟ قال : غدة كغدة البعير يخرج فى المراق والإبل » (البزار) .

كما أمر الرسول ﷺ باعتزال مرضى الجذام فى قوله :

« فر من المجذوم كما تفر من الأسد » (أحمد) .

٧ / ٦ الطفيليات :

من عجب أن يرشد النبى ﷺ وقد عاش فى بيئة وزمان لايعرف ولم يكتشف الطفيليات وأخطارها، ولا وسائل انتشارها والحد منها، إلى فضل الاجراءات الوقائية التى عرفها الطب الوقائى الحديث بعد قرون طوال، وقد ثبت الآن أن الطفيليات

كالبلهارسيا والإسكارس والانتروبيوس والأميبا وغيرها - والتى تكمل دورة حياتها فى جسم الإنسان - إنما تفسد بالجفاف وبارتفاع درجة الحرارة فتأمل أحاديثه ﷺ فى منع انتشار الطفيليات والحفاظ على نظافة البيئة والموارد المائية :

« اتقوا الملاعن الثلاث : البراز فى الموارد وقارعة الطريق وفى الظلال » (أبوداود) .

« اتقوا اللاعنين، قالوا : وما اللاعنان؟ قال : " الذى يتخلى فى طريق الناس وظلهم » (مسلم) .

« لايبولن أحدكم فى الماء الراكد » (ابن ماجة) .

« لاتبل فى الماء الدائم « الراكد » الذى لايجرى ثم تغتسل منه » (مسلم) .

« لايغتسلن أحدكم فى الماء الدائم وهو جنب » (مسلم) .

وتأمل أيضا مايتعلق بذلك من الأمر بالاستنجاء بعد قضاء الحاجة، كما فصلنا من قبل.

٧ / ٧ مرض الكلب :

إعجاز آخر للطب النبوى حين أرشدنا إلى الأسلوب العلمى الرفيع فى الاحتراز من الآنية والمياه التى يردها الكلاب، خوفا من نقلها مرض الكلب « الريبس » الخطير وعدة أمراض أخرى :

« طهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرات أولاهن بالتراب » (مسلم) .

الحكمة فى الغسل سبع مرات أولاهن بالتراب : أن فيروس الكلب دقيق متناه فى الصغر، ومن المعروف أنه كلما صغر حجم الميكروب كلمازادت فعالية سطحه للتعلق بجدار الإناء والتصاقه به، ولعاب الكلب المحتوى على الفيروس يكون على هيئة شريط لعابى سائل، دور التراب هناهو امتزار الميكروب « بالالتصاق السطحى » من الإناء على سطح دقائقه .

٧ / ٨ الذباب :

ترجع فكرة اللقاحات والأمصال إلى اكتشاف الطب الحديث أن العلاج بذات السم هو خير وسيلة للنجاة منه، لقدرة الخلايا الحية على انتاج أجسام مضادة، وقد

أثبتت دراسات أجريت على الذباب، أنه حين يحمل فى جناحه بعض الجراثيم تتولد به أجسام مضادة لهذه الجراثيم «وقد رأينا من قبل أن هذا ليس شأن الذباب وحده»، وفى الحديث الشريف :

«إذا وقع الذباب فى إناء أحدكم فليغمسه كله ثم ليطرحه، فإن فى إحدى جناحيه داء وفى الآخر شفاء» (البخارى).

وفى رواية : «إذا وقع الذباب فى إناء أحدكم فليغمسه ثم لينزعه فإن فى أحد جناحيه داء وفى الآخر شفاء، وأنه يقدم السم ويؤخر الشفاء» (أحمد) .

والحديث يقرر أولا مالم يعرفه جيل الرسالة عن دور الذباب كناقل رئيسى للأمراض: آية شاهدة على الإعجاز العلمى لما هدى الله به رسوله الكريم.

الفصل الثامن

فى المعارف الهندسية

٨ / ١ الحديد :

اختص الله سبحانه وتعالى الحديد – دون سائر الفلزات والعناصر– بإشارات هامة فى القرآن الكريم منها سورة الحديد التى جاء فيها :

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحديد : ٢٥] .

لقد أصبح الحديد العمود الفقرى للمنشآت الهندسية وللحضارة، وتشير كل المؤشرات الجيولوجية والمتالورجية إلى أنه سيظل كذلك إلى ماشاء الله فى هذا الكوكب الأرضى، والحديد فى خاماته أكثر العناصر الفلزية القابلة للاستخلاص انتشارا « الألومنيوم كعنصر كيميائى فى المركبات أوفر من عنصر الحديد، إلا أن الغالبية العظمى للألومنيوم فى صورة مركبات ألومينوسليكات (مادة الطين) المستقرة صعبة الاختزال، ويصعب جدا لاعتبارات فنية واقتصادية وغيرها تحويلها إلى الفلز » .

لاتوجد خامات الحديد نقية فى الطبيعة، بل تختلط – كغيرها من الخامات الفلزية – بالعديد من الشوائب، ولاستخلاص الحديد نقيا يتم أولا تركيز خاماته لفصل العديد من الشوائب، بغسلها بالماء والمحاليل المائية أو غير ذلك، لتطفو الشوائب على السطح وتفصل بعيدا عن الخام المركز، يستكمل الاستخلاص بعد ذلك بتسخين الخام مع مادة مختزلة وإضافات مناسبة حتى ينصهر الخليط، فتنفصل الشوائب كطبقة من الخبث الذى يطفو فوق الفلز المصهور، ثم يسكب الخبث ليبقى مصهور الفلزنقيا، وقد صور القرآن كلتا العمليتين (غسل شوائب الخام، وفصل الخبث من الفلز) تصويرا صحيحا معجزا لمن نزل فيهم بادىء الأمر، وشبه العمليتين

تشبيها جميلا بفعل ماء السيل فى إزالة الشوائب من وجه الأرض فى الآية :

﴿ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴾ [الرعد : ١٧] .

ينفرد الحديد عن سائر الفلزات فى التنوع الشاسع فى خواصه وخواص سبائكه، تبعا لنسبة الكربون وعناصر الإشابة والمعالجة الحرارية والميكانيكية التى تجرى عليه، من لدونة وسهولة فى التشكيل ألواحا وأنابيب وأعمدة ومسامير وغيرها، إلى مرونة كالزنبرك، إلى صلادة الدروع وصلب العدة، وكلها « منافع للناس » : آية بليغة معجزة من علم الله تحدى بها المكابرين منذ عصر البعثة إلى عصرنا الحديث .

بمعالجات حرارية معينة تكتسب سبائك الحديد والصلب لدونة وسهولة فى التشكيل؛ وذلك ماهدى الله سيدنا داود عليه السلام إليه فى قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ . أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [سبأ : ١٠ ، ١١] .

سبائك الصلب خليط من الحديد مع عنصر أو أكثر، هذه العناصر المضافة تغير بنيته الداخلية فتجعله أكثر صلادة أو مقاومة للصدأ أو التآكل أو غير ذلك من خصائص نافعة مطلوبة، ويشير القرآن إلى ذلك الفن بوضوح فى قصة ذى القرنين، عندما هداه الله إلى إضافة النحاس المصهور « القطر » إلى الحديد فأصبح صلدا مستعصيا :

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا . إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴾ [الكهف : ٨٣ ، ٨٤][1] .

ثم الآيات : ﴿ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا . قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا . آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا

---

(١) يقول المفسرون ان ذا القرنين هو الإسكندر المقدونى (الصفوة – المفسر) .

جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا . فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴾ [الكهف: ٩٤ - ٩٧][(١)].

تتميز الفلزات عادة باللدونة أى بقابليتها للتشكيل فى درجات الحرارة العادية أو بشيء من التسخين، إلا أنها إذا سخنت تسخينا شديدا ثم بردت تبريدا فجائيا تفقد الكثير من لدونتها فتصبح قصفة تتكسر أو تتفتت أو تتشقق تبعا لشدة التبريد، وإلى ذلك يشير القرآن فى قصة السامرى الذى صنع لبنى إسرائيل تمثالا عجلا من ذهب، فأمر موسى عليه السلام بتسخين التمثال تسخينا شديدا «حرقه» ثم تفتيته بالتبريد الشديد فى الماء:

﴿ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴾ [طه: ٩٧].

٨ / ٢ مواد البناء :

أنبأ القرآن الكريم عن مصدر لمواد البناء استخدمته أمم سابقة، هو الطوب المحروق الذى يشكل من خامات الطَّفل- كطمى النيل أو الطفلة الصحراوية- ثم يحرق ليتماسك، وهذا مصدر لم يكن معروفا قبل القرن الماضى، إلى أن أثبتت الدراسات الأثرية ضمن الآثار المصرية القديمة مبانى من اللبن المحروق، التى يعتقد أنها قد شكلت أولا من طين مخلوط بالقش ثم حرقت بعد ذلك حرقا ذاتيا- قبل أو بعد البناء، وأنى للعرب فى الجاهلية أن يحيطوا بهذه الفنون ، قال تعالى:

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ [القصص: ٣٨].

٨ / ٣ الوقـود :

فى القرآن الكريم أكثر من إشارة إلى العلاقة بين الشجر الأخضر وبين الطاقة أو النار، حيرت المفسرين القدماء، وهناك أكثر من اجتهاد علمى لتفسير هذه الآيات، وكل منها يؤكد إعجاز النص القرآنى، وأقرب الاجتهادات إلى الحقائق العلمية المعروفة أن الشجر هو المصدر الأساسى للتكوين الجيولوجى للفحم وزيت البترول،

---

(١) نحاسا مذابا (القطر) يتخلل الحديد ويختلط به فيزيده صلابة، وقد استخدمت هذه الطريقة حديثا فى تقوية الحديد، فوجد أن إضافة نسبة من النحاس إليه تضاعف مقاومته وصلابته (الظلال).

ومنها أن الشجر الأخضر بالذات (أوراقه) بما فيها من مادة الكلوروفيل هو الوحيد القادر على امتصاص طاقة الشمس (المصدر الأم للطاقة على الأرض) أثناء عملية التمثيل الضوئى، والتى تبنى فيها خلايا الشجر من ثانى أكسيد الكربون والماء، لينمو قبل استخدامه وقودا بذاته، أو بصوره المتحولة بعد أجيال طوال كالفحم أو الزيت، والشجر الأخضر أيضا مصدر نوع « لا ينضب » من الطاقة المتجددة، وهو الوقود الحيوى، الذى يتم انتاجه من النباتات ومن الفضلات النباتية، وهو مصدر دائم متجدد بإذن الله :

﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴾ [يس : ٨٠][(١)].

﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ . أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴾ [الواقعة : ٧١، ٧٢].

٨ / ٤ وسائل الانتقال :

فى معرض حديثه عن تسخير الدواب فى النقل أنبأ المولى عز وجل أنه سيسخر لنا المزيد من الوسائل التى لم يصل إليها علمنا بعد (ويخلق مالا تعلمون) :

﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ . وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [النحل : ٨، ٩][(٢)].

كما أشارت مواضع أخرى إلى صناعة السفن الضخمة (الفلك المشحون) فى المستقبل (ذريتهم)، وإلى الطيران (من مثله)، أى ما يطفو أيضا غير السفن :

---

(١) طاقة الشمس . . . فى النبات بالتمثيل الضوئى فى وجود الكلوروفيل (المادة الخضراء) تحول ثانى أكسيد الكوبون إلى الكربوهيدات، ومنها يتكون الخشب . . . ومنه الفحم النباتى، ومنه يتكون الفحم الحجرى بالحرارة والضغط (التحلل إلى الكربون) . . . ذكر الاخضرار ليس عفوا بل إشارة إلى الكلوروفيل (المنتخب) .

(٢) ويخلق مالاتعلمون : . . . ليظل المجال مفتوحا فى التصور البشرى لتقبل أنماط جديدة من أدوات الحمل والنقل والركوب والزينة، فلايغلق تصورهم . . . ولقد وجدت وسائل . . . لم يكن يعلمها أهل ذلك الزمان، وستجد وسائل (الظلال)، ويخلق لكم مالاتعلمون من تسخير قوى البخار والكهرباء وغيرهما، وهذه من أغرب معجزات القرآن، فإن فيها تنبؤا صريحا بما اخترع فى القرنين التاسع عشر والعشرين (المفسر)، وسيخلق مالاتعلمون من وسائل الركوب وقطع المسافات، مما سخره الله لبنى الإنسان، إذا استخدم عقله وفكر به واهتدى إلى استخدام كل القوى (المنتخب) .

﴿ وَآيَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ . وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴾ [يس : ٤١ ، ٤٢] .

٨ / ٥ رحلات الفضاء :

ينخفض الضغط الجوى بسرعة كلما ارتفعنا فى الفضاء – وخاصة إذا كان الارتفاع مسرعا، وتجاوز ثلاثة كيلو مترات أو أعلى، مما يسبب صعوبة فى التنفس وضيقا فى الصدر، عبر عنه القرآن المعجز فى الآية :

﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام : ١٢٥] .

والصعود فى الفضاء يخل بتوازن العينين، فتهتز المرئيات كما تهتز بالسُّكْر المبين، وذلك ما لمسه رواد الفضاء فعلا عندما خرجوا من الكبسولة الفضائية فى تجارب السباحة فى الفضاء، أليس معجزا أن يقرر القرآن ذلك فى الآيات :

﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ . لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴾ [الحجر : ١٤ ، ١٥][١] .

رغم أن القرآن الكريم، وحى خالق السموات والأرض يقرر أنه قد يكون فى وسع الإنسان من حيث المبدأ أن ينطلق فى الفضاء بإذن الله، متى آتاه الله « السلطان » أى القدرة اللازمة من طاقة وتقنية :

﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ . فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلا تَنتَصِرَانِ ﴾ [الرحمن : ٣٣ – ٣٥][٢] .

---

(١) سُكِّر بصره : أى غشى عليه أو حبس عن النظر أو حيِّر وشخص (الوسيط) وفى التهذيب : قرئ سُكِرت وسكِّرت، ومعناها أغشيت، وسدت بالسحر فيتخايل بأبصارنا غير مانرى، وقال أبوعمر والعلاء : مأخوذ من سكر الشراب . الزجاج : يقال سكرت عينه تسكر إذا تحيرت وسكنت عن النظر، أى حبست عن النظر وحيرت (اللسان) .

(٢) ثبت حتى الآن ضخامة المجهودات والطاقات المطلوبة للنفاذ من نطاق جاذبية . . . لمدة محدودة جدا بالنسبة لعظم الكون . . . ويدل ذلك على أن النفاذ المطلق من أقطار السموات والأرض التى تبلغ ملايين السنين الضوئية لإنس أو جن مستحيل (المنتخب) .

إلا أن هذه الآيات أيضا تنبه إلى الأخطار التى يواجهها الصاعد فى الفضاء من شهب، ونيازك صلبة ومنصهرة، وأشعة حارقة ومدمرة كالأشعة النووية عامة والأشعة الكونية خاصة، تلك الأخطار التى لم يدركها البشر قبل عصر الفضاء. ومن ناحية أخرى فإنه مهما وقى الإنسان نفسه من هذه الأخطار فهناك استحالة علمية للابتعاد فى الفضاء أكثر من مسافة سنين ضوئية (انظر: النسبية) تتناسب مع عمر البشر المحدود، لأنه طبقا للنظرية النسبية لا يتجاوز جسم مادى سرعة الضوء، فلو انطلق إنسان بسرعة الضوء - جدلا - وقضى عمره كله فى هذه الرحلة وعاش مائة عام فإنه لن يتجاوز واحدا من الألف من قطر هذه المجرة، فما بالك بأقطار سموات الكون، وما بها من بلايين المجرات[1]؟

---

(١) يلحظ بعض الباحثين أن الصعود والحركة فى السماء يعبر عنها فى القرآن بالفعل «عرج» كما فى آية الحجر السابقة وكذلك فى قوله تعالى:
﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ [سبأ: ٢].
﴿مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤﴾ [المعارج: ٣، ٤].
من معانى العرج: الميل أو الانعطاف (المعجم الوسيط)، وذلك يتفق مع ما هو معروف من أن الحركة فى الفضاء تتخذ دوما مسارًا منحنيًا، والأمر يستحق مزيداً من البحث فى أصل ومدلولات «العروج» فى لغة العرب، وطبيعة حركة المادة والطاقة فى الفضاء.

الفصل التاسع

فى حقائق التاريخ

٩ / ١ المنهج التاريخى :

حث القرآن الكريم البشر مرارا وتكرارا على السير فى الأرض والترحال لاستكشاف آثار الأمم السابقة لاستقراء التاريخ وسنن الله فيه، وهو نهج لم يتوصل اليه علم التاريخ إلا فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر باكتشاف آثار طروادة وحجر رشيد، فانفتحت للبشرية أبواب المعرفة التاريخية، وتأمل الآيات :

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [غافر: ٨٢].

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٩].

﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٧].

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ [الانعام: ١١].

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ [النحل: ٣٦].

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [النمل: ٦٩].

﴿ أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [الروم: ٩].

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴾ [الروم: ٤٢].

﴿ أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾ [فاطر: ٤٤].

﴿ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴾ [الحجر: ٧٦].

﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ (١٣٧) وَبِاللَّيْلِ أَفَلا تَعْقِلُونَ (١٣٨) ﴾ [الصافات: ١٣٧، ١٣٨].

٩ / ٢ التاريخ الطبيعى :

كذلك تعتمد دراسة التاريخ الطبيعى، أى دراسة تاريخ تطور الطبقات الجيولوجية للأرض، وتاريخ الحياة على وجهها وفى بحارها، تعتمد على التنقيب فى أنحاء الأرض بحثاً عن الحفريات القديمة وفحصها وتحليلها بالوسائل العلمية، كالفحص المجهرى والتأريخ بالكربون المشع وغيرها، مصداقا للآية التى تربط بين قدرة الله فى نشأة الخلق أول مرة وفى إعادته مرة أخرى يوم القيامة :

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [العنكبوت: ٢٠][١].

٩ / ٣ فرعون موسى :

اندثر التاريخ الحافل لقدماء المصريين بانتهاء ما يسمى بالأسرة الحديثة، وتتابع الغزو اليونانى ثم الرومانى، وأسدل التاريخ ستاره على أخبار ذلك الزمان مع ما ابتلعته أطلال المدن وحريق مكتبة الاسكندرية وغير ذلك من عوامل الدهر، عدا ما بقى من روايات فى بعض المخطوطات المتناثرة كتاريخ هيرودوتس، وظل التاريخ سرا

---

(١) ترى هنا لك فى الأرض مايدل على النشأة الأولى . . . كالحفريات التى يتتبعها بعض العلماء اليوم ليعرفوا منها خط الحياة، كيف نشأت؟ وكيف انتشرت؟ وكيف ارتقت؟ . . . وكيف وجد فيها أول كائن حى، ويكون ذلك توجيها من الله للبحث عن نشأة الحياة الأولى، والاستدلال بها عند معرفتها على النشأة الآخرة (الظلال)، تحث على السير فى الأرض ليكشفوا عن كيفية بدء خلق الأشياء من حيوان ونبات وجماد، فإن آثار الخليقة الأولى منطبعة بين طبقات الأرض وعلى ظهرها، وهى لذلك سجل حافل بتاريخ الخليقة منذ بدئها حتى الآن (المنتخب).

مغلقا مدونا فى أعماق المقابر الفرعونية وعلى جدران بقايا المعابد والمسلات، بلغة لم تفك طلاسمها إلا مع بدايات القرن التاسع عشر عقب اكتشاف حجر رشيد، ثم فى بدايات القرن العشرين باكتشاف مومياوات الفراعنة – وما يصحبها من كنوز دفينة، وهنالك عرف العالم أيضا مدى حرص الفراعنة على تحنيط جثثهم وخاصة جثث الملوك والعظماء، ظنا منهم أن ذلك يضمن لهم البعث والخلود. لقد كشف ذلك التاريخ عن اعجاز آخر للمعارف القرآنية التى أكدت فى وحى الخالق العليم أن جثة فرعون موسى قد بقيت بعد هلاكه غرقا فى مطاردة نبى الله موسى عليه السلام وأتباعه من بنى اسرائيل :

﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ . آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ . فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴾ [يونس: ٩٠ – ٩٢][١].

ولا ريب أن جثة الفرعون قد انتشلت بعد انتهاء المطاردة واندحار جيش فرعون لتحنط مع مومياوات أسلافه، والتى اكتشفتها الكشوف الأثرية واحدة بعد الأخرى.

ترجح الدراسات التاريخية أن فرعون الخروج هو أمنفتاح (أو مرنبتاح) الذى كان عصره بين عامى ١٢٣١ – ١٢٢٠ قبل الميلاد، والذى ترقد مومياؤه فى المتحف المصرى بالقاهرة، وهناك آراء أخرى تميل إلى كون فرعون الخروج تحتمس الثالث (١٥٠١ – ١٤٤٧ قبل الميلاد)، وأيا كان الفرعون فالمومياء قد حنطت وبقيت لتكون عبرة للأجيال، ولم يكن أحد يعرف أن جثث الفراعنة كانت تحنط وأنها ستظهر كلها إلى النور فى الزمان البعيد، وذلك أبلغ برهان على صدق القرآن العظيم.

٩ / ٤ التوراة والإنجيل :

أوحى الله تعالى إلى نبيه الأمى بآيات تؤكد ضياع وإخفاء مصادر الكتب السماوية السابقة، وتحريف أحكامها، وتحويرها وتعديلها بأيدى الأحبار والرهبان، : قال تعالى : **﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾** [البقرة: ٧٥].

---

(١) يظهر أن الآية الكريمة تشير إلى أن جسم فرعون سيبقى محفوظا ليراه الناس (منذ) . . . فى أواخر القرن الـ١٣ قبل الميلاد الأسرة ١٩ (يعتقد أنه) منفتاح بن رمسيس (المنتخب).

﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة: ٧٩].

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٤٦].

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٩].

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٧٤].

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ [البقرة: ١٧٦].

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [آل عمران: ١٩].

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ٧١].

﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٨].

﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [آل عمران: ٩٣].

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ

مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [النساء: ٤٦].

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾ [المائدة: ١٥].

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة: ٤١]:

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٦٦].

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة: ٦٨].

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الأنعام: ٩١].

﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١].

وقد ألقى البحث التاريخى الحديث الأضواء على تطور نصوص العهد القديم والجديد، والتى تختلف اختلافا بينا عن النصوص الأصلية لكل من التوراة العبرية والإنجيل الآرامى، والتى لا يعرف لها أثر أو مكان، ولم تبدأ كتابة النصوص الحالية للتوراة إلا بعد رحيل موسى بأكثر من ألف عام، وتضم «التوراة» –إلى جانب ما بقى من وصايا موسى– التراث الشعبى والتاريخى والقضائى لبنى اسرائيل عبر الأجيال،

وأصبح من العسير وصفها بأنها «كتاب سماوى»، أما الإنجيل (العهد الجديد) فيضم أربع أناجيل باسم متى ومرقس ولوقا ويوحنا، ويعتقد أنها كتبت خلال القرن الثانى بعد رحيل المسيح عليه السلام، ويشك المؤرخون كثيرا - كما جاء فى دائرة المعارف البريطانية - فى نسبة هذه الأناجيل إلى أصحابها، وهذه الأناجيل فى صياغتها إنما هى سرد لحياة عيسى عليه السلام، وقد حفلت فيما بينها باختلافات بينة، لا شك مرجعها إلى أن من كتبوها بشر مختلفون؛ فى أزمان وأمكنة مختلفة، ثم جرت عليها الأيدى بالتعديل على مدى العصور، ولا يتسع المجال هنا لحصر وسرد هذه الاختلافات، سواء بين الأناجيل الأربعة بعضها البعض وأحيانا بين إصحاحات نفس الإنجيل، وكذلك العبارات والروايات التى تتعارض مع المنطق، مما لا يتسع له مجال هذا البرهان، وبينتها دراسات النصوص المسيحية المعتمدة (انظر المراجع)، ولكنا نذكر منها كمثال رئيسى بارز ما يتعلق بمولد المسيح وما يتعلق بقصة صلبه، تناول كل من إنجيل متى وإنجيل لوقا نسب عيسى من جهة أب هو يوسف النجار خطيب السيدة مريم العذراء، بينما المسيح عليه السلام - مثله كمثل أبينا آدم عليه السلام - لا أب له، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى تختلف سلسلة النسب اختلافا شبه تام بين روايتى متى ولوقا، كذلك حفلت روايات صلب وقيام المسيح بتناقضات بين الأناجيل الأربعة، ولم يشهد الحواريون صلب المسيح ولم ينقل عن أى منهم رواية قاطعة، ومن أبرز ما يتضح من تحليل رواية الأناجيل - طبقا لرواية إنجيل يوحنا - أن من ظنوه عيسى؛ عندما أنزلوه من الصليب على عجل قبل عطلة السبت؛ كان حيا بدليل العبارة الآتية:

(وأما يسوع فلما جاءوا اليه ليكسروا ساقيه لأنهم رأوه قد مات، لكن واحدا من العسكر طعن جنبه بحربة وللوقت خرج دم وماء - يوحنا ١٩ / ٣٣- ٣٤)، وهذه الرواية تتناقض مع ما جاء فى بقية الأناجيل عن مشهد الصلب، ومن ناحية أخرى عندما التقى عيسى عليه السلام بحوارييه بعد محاولة الصلب كان بشرا حيا ولم يكن روحا آتية من العالم الآخر، ولكى يؤكد لهم ذلك - بنص الأناجيل - ويطمئنهم جاء فى إنجيل لوقا: (فجزعوا وخافوا وظنوا أنهم نظروا روحا فقال لهم: ما بالكم مضطربين ولماذا تخطر أفكار فى قلوبكم، انظروا يدى ورجلى إنى أنا هو، جسونى وانظروا فإن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لى، وحين قال هذا أراهم يديه ورجليه، وبينما هم غير مصدقين من الفرح ويتعجبون قال لهم أعندكم ها هنا

طعام فناولوه جزء من سمك مشوى وشيئا من شهد عسل فأخذ وأكل قدامهم – لوقا ٢٤ / ٣٧ – ٤٣).

أما قصة قيامة المصلوب من قبره بشهادة مريم المجدلية، فروايات الأناجيل الأربعة هى أربع روايات مختلفة عن بعضها لا تتفق فيها رواية مع الأخرى، كما يظهر بمقارنة الاصحاحات:

متى ٢٨، مرقس ١٦، لوقا ٢٤، يوحنا ٢٠.

وصدق الله العظيم فى كتابه الكريم:

﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا . وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا . بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٥٦ – ١٥٨].

ولم يكن الرسول ﷺ ولا قومه (ولا أتباعه من السلف الصالح لبضع قرون على الأقل) يعرفون تفاصيل ما أكده القرآن الكريم وإلا لتناولها ﷺ فى حديثه للرد على أهل الكتاب، ومن المعروف أيضا أنه لم تظهر نسخة عربية من الكتاب المقدس (التوراة والأناجيل) إلا حوالى القرن العاشر الميلادى.

٩ / ٥ محمد فى الخطاب القرآنى :

تكرر فى الخطاب القرآنى عتاب للرسول الكريم بعضه يحمل شيئا من التحذير وبعضه ينبئ بما يدور فى أعماق نفسه الطاهرة من مشاعر لا يبديها للناس، ويصعب على العقل السليم أن يتخيل أن الرسول يعاتب نفسه بآيات من عنده، ثم يبلغها للناس ويستبقيها فى النص القرآنى دون نسخ أو حذف أو نسيان، وإنما ذلك برهان آخر على أن القرآن وحى السماء كلام الله يخاطب به النبى البشرى الذى بلغ الرسالة كما جاءته وأدى الأمانة بصدق، صلوات الله عليه وتسليماته، ولنقرأ هذه الآيات ولنتدبر طبيعة الخطاب بين الله تعالى المخاطِب والنبى الأمين المخاطَب :

﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ

ولَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ ﴾ [البقرة : ١٢٠].

﴿ ولَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة : ١٤٥].

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا . وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا . وَلا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا . يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا . هَا أَنتُمْ هَؤُلاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً ﴾ [النساء : ١٠٥ – ١٠٩].

﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴾ [المائدة : ٤٩].

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة : ٦٧].

﴿ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ [المائدة : ٩٩].

﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام : ١٤].

﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ . وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ . وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأنعام : ٣٣ – ٣٥].

﴿ قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام: ٥٠].

﴿ وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٢].

﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴾ [الأنعام: ١٠٧].

﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ [الأنعام: ١١٤].

﴿ قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٣].

﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

﴿ لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١١٧].

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ . قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ [يونس: ١٥، ١٦].

﴿ قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلا نَفْعًا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [يونس: ٤٩].

﴿ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾ [يونس: ١٠٩].

﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [هود : ١٢] .

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا وَاقٍ . وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ [الرعد : ٣٧ ، ٣٨] .

﴿ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴾ [الرعد : ٤٠] .

﴿ لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الحجر : ٨٨] .

﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ . إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ [الحجر : ٩٤ ، ٩٥] .

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ . فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ . وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ [الحجر : ٩٧ - ٩٩] .

﴿ وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لاتَّخَذُوكَ خَلِيلاً . وَلَوْلا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً . إِذًا لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً ﴾ [الإسراء : ٧٣ - ٧٥] .

﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه : ١١٤] .

﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً ﴾ [الأحزاب : ٣٧] .

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن

جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأحقاف: ٩].

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم: ٤٨].

﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ [الجن: ٢٢].

﴿إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا . لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن: ٢٧، ٢٨].

﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ . إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ . فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٦ – ١٨].

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ . أَن جَاءَهُ الأَعْمَىٰ . وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ . أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ . أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ . فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ . وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّىٰ . وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ . وَهُوَ يَخْشَىٰ . فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ . كَلاَّ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ [عبس: ١ – ١١].

﴿سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنسَىٰ . إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾ [الأعلى: ٦، ٧].

٩ / ٦ محمد بشارة موسى وعيسى:

كشف القرآن عما كان مستورا فى نصوص التوراة والإنجيل عن التبشير ببعثة محمد ﷺ خاتما للمرسلين، قال تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لا

يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [آل عمران: ١٩٩].

﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

﴿ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الأَوَّلِينَ . أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [الشعراء: ١٩٦، ١٩٧].

﴿ وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلاءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ الْكَافِرُونَ . وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لاَّرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٧، ٤٨].

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأحقاف: ١٠].

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الصف: ٦].

لم يكن النبى يعرف من هذه النصوص شيئا، ولو عرفه لأعلنه للملأ، وكما أوضحنا – كما ثبت تاريخيا – أنه لم تكن ثمة ترجمة عربية لا للعهد القديم ولا العهد الجديد وقت نزول القرآن وبعده بعدة قرون؛ وإلا أثبتها أو أشار إليها التراث العربى الزاخر.

أ – تتضح هذه النبوءات جلية فى سفر التثنية من العهد القديم الذى جاء فيه أن رسالة التوحيد ستظهر فى أمة أخرى، وأن نبيها سيكون من أبناء عمومتهم:

(يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك مثلى له تسمعون – تثنية ١٥/٨).

وجاء فى سفر التثنية أيضا:

(أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به – تثنية ١٨ / ١٨)

والذى يدل على أن النبى المنتظر من أبناء إسماعيل قوله: « من إخوتكم »أى من أبناء اسماعيل لا أبناء اسحاق وإلا لكان يقال « نبى منكم أو من ذريتكم » وأنه سيكون نورا صادرا من جزيرة العرب:

(وهذه هى البركة التى بارك بها موسى رجل الله بنى اسرائيل قبل موته فقال: جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران (جبل بمنطقة مكة) – تثنية ٣٣ / ١-٢)

ومثله فى نبوءة أشعياء:

(وحى من جهة بلاد العرب فى الوعر فى بلاد العرب تبيتين يا قوافل الددانيين، هاتوا ماء لملاقاة العطشان ياسكان أرض تيماء وافوا الهارب بخبزه، فإنهم أمام السيوف قد هربوا، من أمام السيف المسلول، ومن أمام القوس المشدودة، ومن أمام شدة الحرب – أشعياء ٢١ / ١٣-١٥).

ب – وأنه أمى لايعرف الكتابة:

(أو يدفع الكتاب لمن لايعرف الكتابة ويقال له اقرأ هذا فيقول لا أعرف الكتابة – أشعياء ٢٩ / ١٢)

أى أنه لن ياتى بكلام من عنده بل سيردد ما يوحَى إليه مصداقاً للآيات:

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى: ٥٢].

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى . عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى . ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى . وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى . ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى . فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى . فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴾ [النجم: ٣ – ١٠].

﴿ لا تُحرِّكْ به لسانَكَ لتعْجلَ به . إنَّ علَيْنا جمْعَهُ وقُرْآنَهُ . فإذا قرَأْناهُ فاتَّبِعْ قُرْآنَهُ . ثُمَّ إنَّ علَيْنا بيَانَهُ ﴾ [القيامة : ١٦ – ١٩] (١) .

﴿ كذلكَ أرْسلْناكَ في أُمَّةٍ قدْ خلَتْ من قبْلها أُممٌ لتتْلُوَ علَيْهمُ الَّذي أوْحيْنا إلَيْكَ وهُمْ يكْفُرُونَ بالرَّحْمنِ قُلْ هُوَ ربِّي لا إلَهَ إلاَّ هُوَ علَيْه توكَّلْتُ وإلَيْه متاب ﴾ [الرعد : ٣٠] .

﴿ ومَا كُنتَ تتْلُو من قبْله من كتَاب ولا تخُطُّهُ بيَمينكَ إذًا لارْتَابَ الْمُبْطلُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤٨] .

﴿ قُلْ مَا كُنتُ بدْعًا مّنَ الرُّسُلِ ومَا أدْري مَا يُفْعَلُ بي ولا بكُمْ إنْ أتَّبِعُ إلاَّ مَا يُوحَىٰ إلَيَّ ومَا أنَا إلاَّ نذيرٌ مُّبينٌ ﴾ [الأحقاف : ٩] .

جـ – وأنه سيكون مثل موسى كما جاء فى سفر التثنية من العهد القديم :

(أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصى به – تثنية ١٨ / ١٨) .

أى صاحب رسالة جديدة للعالمين خلافا لعيسى عليه السلام الذى كانت رسالته خاصة ببنى اسرائيل لتصحيح ما عرفوه من تعاليم موسى :

﴿ قُلْ يَا أيُّهَا النَّاسُ إنّي رَسُولُ اللَّه إلَيْكُمْ جَميعًا ﴾ [الأعراف : ١٥٨] .

﴿ ومَا أرْسلْنَاكَ إلاَّ كَافَّةً لّلنَّاسِ بشيرًا ونَذيرًا ولَكنَّ أكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [سبأ : ٢٨] .

بينما جاء فى الأناجيل :

(لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ماجئت لأنقض بل لأكمل) (متى ٥ / ١٧) .

(فأجاب وقال : لم أرسل إلا إلى خراف بنى اسرائيل الضالة – متى ٥ / ٢٤) .

---

(١) كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة، فكان يحرك لسانه وشفتيه مخافة أن ينفلت منه يريد أن يحفظه فأنزل الله الآية . . . قال ابن عباس : فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل عليه السلام أطرق واستمع، فإذا ذهب قرأه كما وعد الله عز وجل « الصفوة »

(هؤلاء الإثنى عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلا : إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت اسرائيل الضالة – متى ١٠/ ٥ – ٦).

كذلك تزوج موسى وقاد بنى اسرائيل وأتى بشرائع وأحكام عملية، مثله فى ذلك مثل محمد ﷺ، وما كان ذلك شأن عيسى.

أما الانجيل فقد أتى ببشارة محمد بوصفه « المعزى » فى النص العربى المتداول، وهو المقابل لكلمة Comforter الإنجليزية وكلاهما مترجم عن كلمة « باراكليتوس » اليونانية فى الترجمة اليونانية للإنجيل :

(لكنى أقول لكم الحق انه خير لى أن أنطلق، لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى، ولكن إن ذهبت أرسله اليكم – يوحنا ١٦ / ٧).

(إن لى أمورا كثيرة أيضا لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن، وأما متى جاء ذلك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية – يوحنا ١٦ / ١٢ – ١٣).

وقد أثبت البحث فى أصل كلمة « باراكليتوس » أنها مأخوذة من العبرية « بيرقليط » بمعنى المحامى أو المدافع، وقد بين البحث فى تاريخ اللغة أن هجاء هذه الكلمة فى العبرية القديمة يطابق هجاء كلمة « بارقليط » التى تعنى بالعبرية « المستوجب للحمد أو المحمود أو المحمد »، إذ لم تكن حروف المد بعد مستخدمة فى الكتابة العبرية قبل القرن الخامس الميلادى.

كما أكدت نصوص الأناجيل (النص السابق : يوحنا ١٦ / ١٢ – ١٣) أن الرسول لن ينطق من تلقاء نفسه بل سيبلغ ما يوحى اليه، وأنه سيأتى بعد رحيل عيسى (كما فى يوحنا ١٦ / ٧ أعلاه)، وأن رسالته ستنطلق من أمة أخرى غير بنى اسرائيل.

(قال لهم يسوع : أما قرأتم قط فى الكتب، الحجر الذى رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية، من قبل الرب كان هذا وهو عجيب فى أعيننا، لذلك أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تحمل أثماره – متى ٢١ / ٤٢ – ٤٣).

٩ / ٧ أهل الكهف

فى كشوف أثرية حديثة، عثر على كهف بمنطقة « الرقيم » المشار إليها فى الآية : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾ [الكهف : ٩][١] .

تبعد منطقة الرقيم سبعة كيلو مترات عن عَمَّان، وقد وجدت بجدران الكهف عبارات التوحيد، محفورة بلغات قديمة. تصميم فتحات الكهف يحقق ما جاء بالآية التالية عن حماية منتصفه من نفاذ أشعة الشمس، سواء من المشرق أو من المغرب :

﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ [الكهف : ١٧] .

وفى قصة أهل الكهف آية علمية أخرى، هى « الضرب على الآذان » بمعنى تعطيل حاسة السمع، حتى يستمر نومهم الطويل، إذ أن السمع هو الحاسة الوحيدة التى تعمل أثناء النوم :

﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾ [الكهف : ١١] .

وكذلك من آيات هذه القصة : الإشارة إلى التقليب المستمر لأهل الكهف يمنة ويسرة أثناء نومهم الطويل، آية أخرى من آيات الإعجاز، فقد أثبت علماء طب الجلد أن النوم الطويل يؤدى إلى قرح الفراش، وانسداد الأوردة الدموية؛ والضغط على أعصاب القدمين، ومن هنا يبدو إعجاز القرآن فى الإشارة إلى اللطف الإلهى بتقليبهم طوال نومهم الطويل :

﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾ [الكهف : ١٨] .

---

(١) ذهب معظم المفسرين – قبل اكتشاف المنطقة– إلى أن الرقيم هو لوح كان مكتوبا فيه أسماء أهل الكهف ! .

الفصل العاشر

فى نبوءات المستقبل

١٠ / ١ إعجاز القرآن وحفظه

أ – وعد الله سبحانه بحفظ القرآن الكريم وبقائه إلى آخر الزمان؛ بعهد الله وقسمه، وقد كان، فالقرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذى لم يعتره تعديل ولا تحريف ولا اختلاف :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩][١] .

والحفظ الذى تكفل به الله سبحانه وتعالى هو للقرآن دون سائر الكتب السماوية، كما يتبين من مقارنة الآية بآية [المائدة : ٤٤] :

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ .

فالحفظ للكتب السماوية السابقة كان منوطا بأهل التوراة وأهل الإنجيل فما رعوها حق رعايتها، كما بينا من قبل (انظر ٩ / ٤) .

ب – النبوءة القرآنية بأن العلم سيتقدم، وسيتعرف البشر على المزيد من آيات الإعجاز فى رسالة الإسلام – وهو ماتحقق فعلا – هى فى حد ذاتها (أى النبوءة)

---

(١) معجزة شاهدة بربانية هذا الكتاب . . . الأحوال والظروف والملابسات والعوامل التى تقلبت على هذا الكتاب فى خلال هذه القرون ماكان يمكن أن تتركه مصونا محفوظا لاتتبدل فيه كلمة، ولاتحرف فيه جملة، لولا أن هناك قدرة خارجة عن إرادة البشر، أكبر من الأحوال والظروف والملابسات والعوامل، تحفظ هذا الكتاب من التغيير والتبديل، وتصونه من العبث والتحريف . . . (مثل) ماصنعته الفرق فى الحديث وماترتب عليه من جهد لغربلة السنة، وفى تأويل معانى القرآن ولكنها عجزت عن تحريف (نص) القرآن، ثم أعداء هذا الزمن . . . والكيد للمسلمين ودين الله، وقدروا على تزوير التاريخ . . . ولكنهم لم يقدروا على شىء واحد –والظروف الظاهرية كلها مهيأة له– لم يقدروا على إحداث شىء فى هذا الكتاب المحفوظ (الظلال) .

إعجاز علمي تاريخي أكده ويؤكده، يوما بعد يوم، تاريخ العلوم المطرد:

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت: ٥٣][1].

﴿ لِكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام: ٦٧].

﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [النمل: ٩٣].

﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ . وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾ [ص: ٨٧، ٨٨].

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأعراف: ٥٣].

﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾ [يونس: ٣٩][2].

وهنا أيضا لم يدرك المفسرون القدماء مغزى « تأويله » فصرفوا المعنى إلى أن المقصود هو ما سيأتيهم من الوعيد، رغم أن سياق الآيتين فى سورة الأعراف وسورة يونس يتحدث عما جاء به القرآن من علم، فتسبق آية الأعراف: **﴿ هل ينظرون إلاتأويله... ﴾** الآية:

﴿ وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ٥٢].

---

(١) ولقد صدقهم الله وعده، فكشف لهم عن آياته فى الآفاق خلال القرون الأربعة عشر التى تلت هذا الوعد، وكشف لهم عن آياته فى أنفسهم، ومايزال يكشف لهم فى كل يوم عن جديد (الظلال)، سنريهم دلائلنا بصحته فى نواحي الأرض وفى أنفسهم أى وفى مجتمعهم (المفسر).

(٢) لقد كذبوا بالوحى بالقرآن وصدق مافيه من الوعد والوعيد: لقد كذبوا بهذا وليس لديهم من علم يقوم عليه التكذيب، ولما ياتهم تاويله الواقعى بوقوعه (الظلال)، بل كذب هؤلاء المشركون وسارعوا إلى الطعن به قبل أن يفقهوه ويتدبروا مافيه، والناس دائما أعداء ماجهلوا (الصفوة)، من غير أن يتدبروا ويعلموا مافيه، فلم ينظروا فيه بانفسهم، ولم يقفوا على تفسيره وبيان أحكامه بالرجوع إلى غيرهم (المنتخب)، بل كذبوا بشىء لم يعرفوه ولم يجئهم تأويله بعد (المفسر).

وكذلك آية يونس ﴿ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه... ﴾ تسبقها الآية الآتية:

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [يونس: ٣٨].

أى أن الفهم الصحيح والتأويل السليم لآيات القرآن سيأتى بعدُ حين يشاء الله.

جـ - تحدى القرآن أن يأتى البشر- كل البشر أفرادا أو مجتمعين- أن يأتوا بما يضاهى البيان القرآنى، وتنبأ بعجزهم جيلا بعد جيل، كما فى التحدى الذى جاءت به آية (يونس/ ٣٨)، وفى هذه الآيات:

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [هود: ١٣].

﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨].

﴿ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [القصص: ٤٩].

﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لاَّ يُؤْمِنُونَ . فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ [الطور: ٣٣، ٣٤].

وقد كان: فلم يكتب بشر ما يضاهى فى بلاغته - ولو ادعاءً - بلاغة القرآن، وقد تكفل علماء العربية والإسلام بدراسة النص القرآنى وتحليله، ومقارنته بلغة اللسان العربى وآدابه فى القديم والحديث، وبرهنوا على تميز الخطاب القرآنى واستعصائه على المحاكاة[1]، ومازالوا يستكشفون المزيد من أسرار البيان القرآنى، ويبقى القرآن معجزة بلاغية ماثلة إلى آخر الزمان.

---

(١) ولعل من إعجاز النص القرآنى أيضا ما لاحظه بعض الباحثين من موافقات فى تكرار بعض الألفاظ المتقابلة مثل: الشياطين والملائكة (٨٨ مرة بصيغها المختلفة)، الدنيا والآخرة (١١٥ مرة)، والسيئات والصالحات (١٨٠ مرة بمشتقاتها)، القرآن والوحى والإسلام بمشتقاتها (٧٠ مرة لكل منها).

١٠ / ٢ انتصار الدعوة:

أ – تنبأ القرآن مقدما بكل ماكان من استمرار الدعوة الناشئة فى أحلك الظروف وأقساها، وبحفظ الله تعالى نبيه من تآمر الكافرين على اغتياله، وبفتح مكة ودخول الكعبة وتطهيرها من الأصنام، كما تبينها الآيات المتتالية الآتية:

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة: ٦٧].

﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴾ [القصص: ٨٥][١].

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا . لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا . وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾ [الفتح: ١ – ٣].

﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح: ٢٧].

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [الصف: ٨].

ب – كما تنبأ بموت نفر من الكفار بعينهم على الكفر، وقد كان، ولم يكن ثمة ما يمنع إسلامهم، وقد أسلم من كانوا أشد منهم عداء للإسلام كعمر بن الخطاب رضى الله عنه وخالد بن الوليد، فنزلت الآيات:

﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا . وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُودًا . وَبَنِينَ شُهُودًا . وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا . ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ . كَلاَّ إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيدًا . سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا . إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ . فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ . ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ . ثُمَّ نَظَرَ . ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ . ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ . فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ . إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ . سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾ [المدثر: ١١ – ٢٦].

نزلت فى الوليد بن المغيرة.

---

(٢) «لرادك إلي معاد»، لرادك إلي الأرض التي اعتدتها، وهي مكة، أو من مصدر «عاد» (المفسر)، وعد من الله بفتح مكة (الصفوة).

﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ . مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ . سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ . وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ . فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ [المسد : ١ — ٥] .

نزلت فى أبى لهب وزوجه .

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ . وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [لقمان : ٦ ، ٧][١] .

نزلت فى النضر بن الحارث .

١٠ / ٣ هزيمة الفرس :

مما جاء به القرآن من نبوءات تاريخية، هى من الغيب الذى لا يعلمه إلا خالق الكون القيوم سبحانه وتعالى، ما تحقق نبوءة بعد الأخرى . من أشهر النبوءات اندحار الفرس أمام الروم فى بضع سنين من نزول الآية :

﴿ الم . غُلِبَتِ الرُّومُ . فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ . فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ . بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ . وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم : ١ — ٦][٢] .

---

(١) فى بعض الروايات أنها فى النضر بن الحارث يشترى كتب أساطير الفرس ويجلس فى طريق الذاهبين إلى رسول الله ﷺ . . . ، ولكن النص أعم . . . إذا صح أنه وارد فيه . . . (الظلال) ، وروى أن النضر بن الحارث كان يشترى المغنيات ، فلايظفر بأحد يريد الإسلام ، إلا انطلق إلى قينته المغنية ، فيقول لها : أطعميه واسقيه الخمر وغنيه ، ويقول : هذا خير مما يدعوك إليه . . . (الصفوة) .

(٢) الأولى انتصار الفرس فى بلاد الشام بقيادة خسرو ابرويز أو خسرو الثانى المعروف بكسرى على الروم بقيادة هيراكليوس الصغير المعروف بهرقل عام ٦١٤م واستولى على أنطاكية ثم دمشق ، ثم حاصروا بيت المقدس وأحرقوها ونهبوها وذبحوا ، ودمروا كنيسة القيامة ، ورد هرقل الكرة عليهم فى معركة على أرض أرمينية عام ٦٢٢م (الأول من الهجرة) ، كان فاتحة انتصارات الروم (المنتخب) ، وفى حديث رواه ابن جرير بإسناده عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه ، قال : كانت فارس ظاهرة على الروم ، وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم ؛ وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس ، لأنهم أهل كتاب ، وهم أقرب إلى دينهم . فلما نزلت : الم . غلبت الروم . . . (الآية) قالوا : يا أبا بكر إن صاحبك يقول : إن الروم تظهر على فارس فى بضع سنين قال : صدق . قالوا : هل لك أن نقامرك (قبل تحريم الرهان) ، فبايعوه على أربع قلائص إلى سبع سنين . فمضت السبع ولم يكن =

والبضع لغة : ما بين الثلاث والتسع، وقد كانت كل الدلائل تشير إلى العكس، أى إلى النصر النهائى للفرس.

١٠ / ٤ فساد البيئة :

تنبأ القرآن الكريم بما سيصيب البيئة الأرضية من تدهور وفساد بفعل البشر، وأطماعهم وسوء استخدامهم لما أنعم الله عليهم فى الأرض والموارد، وغفلتهم عن حمل أمانة عمارة الأرض وإصلاحها والتعاون على الخير، التى حملهم إياها الله سبحانه وتعالى، وهذا ما تنطق به الآيات :

﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم : ٤١][١].

﴿ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٦].

الجمع بين البر والبحر يؤكد أن المقصود هو فساد البيئة، فلو ذكر البر فقط لربما فهم المقصود بأنه الفساد الناشىء عن الظلم والاستبداد والحروب؛ وهو ما ذهب إليه بعض المفسرين من القدماء، ولكننا نتساءل : أى فساد يصيب البحار من جراء صراعات البشر، إن المعنى المباشر ظاهر ولا مجال فيه للتأويل.

فى التنبؤ بأن الإنسان مهما بلغ علمه وزادت معرفته لن يكون- بغير هدى الله - أهلا لمسئولية الحفاظ على نعم الله فى الأرض قال تعالى أيضا :

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾ [الأحزاب : ٧٢].

= شيء، ففرح المشركون بذلك، فشق على المسلمين، فذكر ذلك للنبى ﷺ فقال : ما بضع سنين عندكم، قالوا : دون العشر، قال : اذهب فزايدهم وازدد سنتين فى الأجل. قال فما مضت السنتان حتى جاءت الركبان بظهور الروم على فارس، ففرح المؤمنون بذلك (الظلال).

(١) قال البيضاوى : المراد بالفساد الجدب وكثرة الحرق والغرق، ومحق البركات وكثرة المضار (الصفوة)، كالجدب والأمراض المجتاحة، وحوادث الغرق، وطغيان الانهار، والزلازل بما كسبت أيدى الناس من الذنوب (المفسر)، الحرق والقحط والآفات وكساد التجارة والغرق، بسبب جرائم وآثام الناس (المنتخب).

١٠ / ٥ علامات الساعة:

حدث المصطفى صلى الله عليه وسلم بما أعلمه به الروح الأمين مما سيحدث من إرهاصات لقيام الساعة وعلامات لها، ومنها علامات صغرى تتوالى على امتداد الزمان حتى اقتراب القيامة؛ ثم علامات كبرى بين يدى الساعة لا تغنى بعدها توبة، ولا ينفع إيمان نفس لم تكن آمنت من قبل.

جاءت أحداث التاريخ وما وقعت به من العلامات الصغرى – التى أنبأت بها الأحاديث المطهرة – برهانا ساطعا على صدق الرسول وصدق الرسالة، ولنتدبر هذه الأحاديث:

« إذا رأيت الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان فانتظروا الساعة» (البخارى ومسلم).

« ليأتين على الناس زمان لا يبقى منهم أحد إلا أكل الربا، فمن لم يأكله أصابه من غباره» (أبو داود وابن ماجة).

« لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، وحتى يتطاول الناس فى البنيان» (البخارى).

« إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم، ويكثر الجهل، ويكثر الزنا، ويكثر شرب الخمر» (البخارى ومسلم).

« صنفان من أمتى من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات، رؤوسهن كأسنمة البُخت المائلة، لا يدخلون الجنة ولا يجدون ريحها» (مسلم وأحمد)

« من علامات اقتراب الساعة تشبه الرجال بالنساء، والنساء بالرجال» (أبو نعيم فى الحلية).

« إن بين يدى الساعة تسليم الخاصة « أن يخص إنسانا بالسلام بدلا من إفشائه »، وفشو التجارة حتى تعين المرأة زوجها على التجارة، وقطع الأرحام، وفشو القلم، وظهور الشهادة بالزور، وكتمان شهادة الحق» (البخارى).

« لا تزال طائفة من أمتى على الحق ظاهرين، لا يضرهم من يخذلهم حتى يأتى أمر

الله) (مسلم والترمذى وأبو داود)

ولنقارن بوقائع التاريخ :

– أصبح العالم شئنا أو لم نشأ يتعامل بالربا، فالنظام النقدى العالمى المتشابك الذى ترتبط به كل دول العالم وتوجهه المؤسسات المالية الكبرى (التى يسيطر عليها اليهود) نظام ربوى، والنقد الورقى الذى تسير به كل معاملاتنا له غطاء ذهبى غير مستقر؛ وإنما يتراوح صعودا وهبوطا مع أسعار العملات وتقلبات أسواق الأوراق المالية؛ ومعنى ذلك أن القيمة الفعلية لأى مال تملكه يضاف إليها ربا أو يخسر منها يوما بعد يوم .

– الزنا ومعاقرة الخمر والمخدرات : تفشو كالوباء فى كل المجتمعات؛ وأصبح الإعلام والفن العالمى لترويج هذه الشرور له الصوت الأعلى، بل كاد ينفرد بتوجيه عقل البشر فى كل المجتمعات .

– قبض العلماء : أين هم فى أسواق عكاظ الجاهلية المعاصرة، التى ابتكرت وسائل للنشر والتأثير لا تتسع إلا للملحدين والمفسدين .

– قطع الأرحام : وقد تمزقت الأسر؛ ولم يعد لها وجود فعلى إلا فى بعض المجتمعات التى لم يزل فيها بقية من دين .

– فشو التجارة : وقد أصبح العالم سوقا واحدا تتصل أسواقه المالية بالحاسبات والأقمار الصناعية، وتسيطر على تجارته الشركات متعددة الجنسيات التى توجه الصفقات والأسعار؛ وأيضا السياسات والحكومات .

– التطاول فى البنيان : وقد وصلت ناطحات السحاب لمدى لم يكن يتخيله من جاء بالنبوءة ﷺ ، وقاد هذا الاتجاه سكان القارة الأمريكية، الذين كان أسلافهم من المهاجرين من شتى البلاد الأوربية؛ ومن قاع مجتمعاتها واشتهروا لأجيال طويلة بأنهم رعاة البقر .

– تشبه الرجال بالنساء والعكس : أصبح سمة بارزة فى الأمم التى تسيطر على شعوب الأرض، بل أصبح الشذوذ هنالك نظاماً يقف للزواج الطبيعى ندا لند .

– طائفة على الحق ظاهرة : فلم يندثر الإسلام رغم تطاول الزمان وتكالب الأعداء، بل قيض له فى كل جيل من يحيى موات القلوب، ويبعث مدا جديدا للإسلام .

١٠ / ٦ مشاهد القيامة :

أحداث القيامة من أمر الله تعالى لا يكشفها ولا يجليها لوقتها إلا هو، وقد حذرت الآيات القرآنية وأنذرت من أهوال ذلك اليوم، ووصفتها صفات تقربها إلى أذهاننا، وتتفق مع كل ما يكشفه الله لعباده من معارف ومفاهيم؛ فيظل القرآن دائما صادقا معجزا.

تتطابق كثير من علامات الساعة مع ما ندركه عن الكون وطبيعته؛ مثل انشقاق الغلاف الجوى:

﴿ **إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ** ﴾ [الانشقاق : ١] انشقت : تصدعت، أو انفطاره :

﴿ **إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ** ﴾ [الانفطار : ١] وانفطرت : انشقت.

ومثل تكور النجوم الغازية عندما يتقدم بها العمر فتبرد وتنكمش، وتتحول إلى ما يعرف بالقزم الأبيض وهو ما لوحظ عمليا فى الدراسات الفلكية، كما جاء فى آيتين عن تكور الشمس وانكدار النجوم :

﴿ **إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ . وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ** ﴾ [التكوير : ١، ٢][١].

بينما تتفتت الكواكب الصلبة «تنتثر» عند اختلال النظام الكونى :

﴿ **وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ** ﴾ [الانفطار : ٢][٢].

وتفجير البحار كما فى الآية : ﴿ **وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ** ﴾ [الانفطار : ٣][٣].

وكشط الغلاف الجوى : ﴿ **وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ** ﴾ [التكوير : ١١][١].

---

(١) كورت الشمس : جمع ضوؤها وصار كالكرة (الوسيط) قال أبو عبيدة : كورت مثل تكوير العمامة تلف فتمحى، وقال قتادة : كورت ذهب ضوؤها، وهو قول الفراء (اللسان)، قد يعنى برودتها وانطفاء شعلتها وانكماش ألسنتها الملتهبة، واستحالتها من غاز حرارته ١٢٠٠٠° ... إلى حالة تجمد مثل قشرة الأرض ... قد يكون هذا، وقد يكون غيره (الظلال).

(٢) نثر الشيئ : رمى به متفرقا، وانتثر : تفرق (الوسيط).

(٣) تفجير البحار : يحتمل غمرها لليابسة، كما يحتمل تفجير مائها إلى عنصريه الأكسجين والإيدروجين، فتتحول مياهها إلى هذين الغازين، كذلك يحتمل تفجير ذرات هذين الغازين (الصواب : الإيدروجين فقط) كما يقع فى تفجير القنابل ... والهيدروجينية اليوم، أو أن يكون بهيئة أخرى غير مايعرف البشر (الظلال).

(٤) كشطه كشطا : ازاله عنه، يقال كشط الجلد عن الذبيحة (الوسيط) وكشف الغطاء عن الشىء : قلعه ونزعه وكشفه عنه (اللسان).

ومثل ضآلة الحجم الحقيقى لمادة الكون بالنسبة لاتساعه، والتى انطلقت لتملأ الكون أجراما سماوية متباعدة؛ حتى تتجمع ثانية بأمر الله يوم القيامة:

﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٤][(١)].

أكد المولى جل وعلا استحالة معرفة وقت الساعة أو التنبؤ به، وهذه الاستحالة يؤكدها العلم الحديث؛ بسبب واضح أشرنا إليه عند الحديث عن أبعاد الكون الذى يضم بلايين المجرات أقربها إلى مجرتنا على بعد ٧٠٠٠٠٠ سنة ضوئية بينما يقطع الضوء داخل مجرتنا وحدها ٥٠٠٠٠ سنة ليصل إلى حافتها (من المركز)، ومعنى ذلك ببساطة شديدة أن أعظم أجهزة الرصد على كوكب الأرض لا تستطيع أن ترى أو تكشف حدثا كونيا ضخما داخل مجرتنا؛ إلا بعد سنين أو عشرات أو مئات أو آلاف السنين من وقوعه (فما بالك بحدث فى مجرة بعيدة)، فإذا بدأت الأحداث الكونية الممهدة للقيامة بانفجار نجم أو نجوم، أو اصطدام أجرام سماوية بجسم من داخل المجرة أو خارجها (بما يخل بتوازن المجرة بما فيها مجموعتنا الشمسية)، فإننا لن ندرك أو نبصر الحدث فى حينه وسنظل غافلين عنه دهورا حتى تقع الواقعة فعلا فى أرضنا وتصيبنا أهوالها، ما الذى يدرينا أن مقدمات الساعة لم تبدأ فعلا فى مكان ما فى أرجاء الكون الفسيح، ومن الذى يستطيع -علميا فى ضوء هذا التحليل- أن ينكر احتمال أن تأتينا تداعياتها بغتة فى أى لحظة، اليست هذه آية كبرى على صدق وإعجاز القرآن الكريم الذى يؤكد مرارا استحالة التنبؤ بالقيامة واستئثار الله تعالى بمعرفتها، وصدق الله العظيم:

﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾ [طه: ١٥].

﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ ﴾ [محمد: ١٨].

﴿ اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾ [الشورى: ١٧].

﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ [القمر: ١].

---

(١) طوى الشيء طيا: ضم بعضه على بعض، أو لف بعضه فوق بعض (الوسيط).

﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ [الأنعام: ٣١].

﴿ أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٧].

﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴾ [الحج: ٥٥].

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [الزخرف: ٦٦].

﴿ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ [الأنبياء: ٤٠].

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان: ٣٤].

﴿ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾ [الأحزاب: ٦٣].

﴿ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٧].

﴿ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٥].

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا . فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا . إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ﴾ [النازعات: ٤٢ – ٤٤].

وصدق الله العظيم فى كتابه المعجز الكريم

الفهارس التحليلية

١ – كشاف الشواهد القرآنية
(بترتيب آيات المصحف)

الآية: سورة	الآية: رقم	رقم الموضوع
البقرة	٢٢	٦/٣
	٣١	ت/٣
	٣٣	ت/٣
	٧٥	٤/٩
	٧٩	٤/٩
	١٠٢–١٠٣	ت/٥
	١٢٠	٥/٩
	١٤٥	٥/٩
	١٤٦	٤/٩
	١٥٩	٤/٩
	١٦٤	ت/٦
	١٦٦–١٦٧	ت/٢
	١٧٠	ت/٢
	١٧١	ت/٥
	١٧٣	٣/٦
	١٧٤	٤/٩
	١٧٦	٤/٩
	١٨٣–١٨٥	٢/٦
	١٩٠–١٩١	ت/١
	٢١٩	٦/٦
	٢٢٢	٧/٦
	٢٢٨	٨/٦
	٢٣٣	٥/٦
	٢٥٥	٢/٢
	٢٦٥	١١/٣
	٢٦٩	ت/٣
آل عمران	٧	ت/٣
	١٨	ت/٣
	١٩	٤/٩
	٢٧	١/٢,٣/٣
	٤٩	١١/٦
	٧١	٤/٩
	٧٨	٤/٩
	٨١	٦/٩
	٩٣	٤/٩
	١٣٧	١/٩
	١٨٧	٤/٩
	١٩٠–١٩١	ت/٦
	١٩٩	٦/٩
النساء	٢٥	٩/٦
	٤٣	١٣أ/٧
	٤٦	٤/٩
	٥٦	٨/٥
	٨٢	ت/١
	١٠٣	٤/٧
	١٠٥–١٠٩	٥/٩
	١٥٦–١٥٨	٤/٩
	١٦٢	ت/٣
المائدة	٣	ت/١,٦/٣
	٦	٧/١٣أ،ب
	١٥	٤/٩
	٤١	٤/٩
	٤٤	١/١٠
	٤٩	٥/٩
	٦٦	٤/٩
	٦٧	٥/٩
	٦٨	٤/٩
	٧٧	٢/١٠
	٩٠–٩١	٦/٦
	٩٩	٥/٩
	١٠٤–١٠٥	ت/٢
	١١٠	١١/٦
الأنعام	١١	١/٩
	١٤	٥/٩
	٣١	٦/١٠
	٣٣–٣٥	٥/٩
	٣٨	١/٤
	٥٠	٥/٩
	٥٢	٥/٩
	٦٧	١/١٠
	٧٥–٧٩	٧/٢
	٩١	٤/٩

سورة	رقم الآية	رقم الموضوع
	٩٥	٢/١
	٩٩-٩٥	ت/٦
	١٠٠	ت/٥
	١٠٧-١٠٦	٥/٩
	١١٤	٥/٩
	١٢٥	٥/٨
	١٤٠-١٣٦	ت/٥
	١٤٢-١٤١	ت/٦
	١٤٥	٣/٦
	١٤٨	ت/٥
الأعراف	٢٨	ت/٢
	٣١	١/٦
	٣٢-٣١	٣/٧هـ
	٣٣	ت/٥
	٥٣-٥٢	١/١٠
	٥٤	٢/٣
	٥٦	٤/١٠
	٥٨	ت/٦
	٧١	ت/٥
	٨١-٨٠	١٠/٦
	١٣١	ت/٥
	١٣٧	٢/٣
	١٤٩-١٤٨	ت/٥
	١٥٨-١٥٧	٦/٩
	١٧٢	٢/٥
	١٧٣	ت/٢
	١٨٥	ت/١
	١٨٧	٦/١٠
	١٨٨	٥/٩
	١٨٩	٩/٦
	١٩٢-١٩١	ت/٥

سورة	رقم الآية	رقم الموضوع
	٢٠٣	٥/٩
	٢٠٥	٥/٩
الأنفال	٢٢/٢١	ت/١
التوبة	٣١	٤/٩
	٣٦	٥/٢
	١١٧	٥/٩
يونس	٥	٧/٢
	٦	ت/٦
	١٦-١٥	٥/٩
	١٨	ت/٥
	٣١	٢/١
	٣٤	٢/١
	٣٦-٣٥	ت/١
	٣٩-٣٨	١/١٠
	٤٣-٤٢	ت/١
	٤٩	٥/٩
	٦٧	٢/٣
	٧٨	ت/٢
	٩٢-٩٠	٣/٩
	١٠٦	ت/٥
	١٠٨	ت/١
	١٠٩	٥/٩
هود	١٢	٥/٩
	١٣	١/١٠
	٥٩	ت/٢
	٦٢	ت/٢
	٦٧	١٣/٥

سورة	رقم الآية	رقم الموضوع
	٨٧	ت/٢
	٩٤	١٣/٥
	٩٧-٩٦	ت/٢
	١٠٩	ت/٢
يوسف	٢٢	ت/٣
	٤٧	١٢/٣
	٩٤	١٠/٥
	١٠١	ت/٣
	١٠٥	ت/٦
	١٠٧	٦/١٠
	١٠٩	١/٩
الرعد	٢	١/٢
	٣	٥/٤,٥/٣
	٤	ت/٦,٣/١١
	٨	٣/٥,١/١
	١١	ت/٤
	١٣-١٢	٧/٣
	١٥	٢/٢
	١٧	١/٨
	١٩	ت/١
	٣٠	٦/٩
	٣٨-٣٧	٥/٩
	٤٠	٥/٩
	٤١	١/٣
إبراهيم	١٠	ت/٢
	٢١	ت/٢
	٢٧-٢٤	ت/١
الحجر	٩	١/١٠
	١٥-١٤	٥/٨
	١٨-١٦	٨/٢
	١٩	٥/٣،١/١

الآيـــة		رقم
ســـورة	رقم	الموضوع
	٢١	١/١
	٢٢	٧/٣
	٧٣	٣/٥
	٧٦	١/٩
	٨٣	١٣/٥
	٨٨	٥/٩
	٩٥-٩٤	٥/٩
	٩٩-٩٧	٥/٩
النحـــل	٩-٨	٤/٨
	١١/١٠	٦/ت
	١٤-١٣	٦/ت
	١٥	٥/٣
•	٣٦	١/٩
	٤٩	٢/٢
	٥٧-٥٦	٥/ت
	٦٦	٤/٤
	٦٩-٦٨	٤/٦,٣/٤
	٧٢	٩/٦
	٧٨	١٢/٥
	١١٥	٣/٦
الإســراء	١٢	٢/٣,٦/ت
	٣٢	٩/٦
	٤٠	٥/ت
	٤٢-٤١	١/ت
	٤٤	٢/٢,٤/ت
	٧٥-٧٣	٥/٩
	٧٧	٤/ت
	٨٥	٦/٥
	٨٨	١/١٠
الكهف	٩	٧/٩
	١١	٧/٩

الآيـــة		رقم
ســـورة	رقــــم	الموضوع
	١٧	٧/٩
	١٨	٧/٩
	٢٥	٥/٢
	٨٤-٨٣	١/٨
	٩٧-٩٤	١/٨
طـــه	٦	٤/٣
	١٥	٦/١٠
	٥٠	١/٤,٤/ت
	٥٤-٥٣	٦/ت
	٨٩-٨٨	٥/ت
	١١٤	٥/٩
الأنبيـاء	١	٢/٢
	١٦	٤/ت
	٢٢	١/ت
	٢٤	١/ت
	٣٠	٨/٣,٣/٢
	٣١	٥/٣
	٣٢	٦/٣
	٣٣	٢/٣
	٤٠	٦/١٠
	٤٤	١/٣
	٥٤-٥١	٢/ت
	٧٩	٣/ت
	١٠٤	٦/١٠,٣/٢
الحـــج	٣	١/ت
	٥	/٥,١١/٣
		٤/٥,٣
	٨	١/ت
	١٣-١٢	٥/ت
	٤٦	١/ت
	٤٧	٤/٢
	٥٤	٣/ت

الآيـــة		رقــــم
ســـورة	رقم	الموضوع
	٥٥	٦/١٠
	٦١	٣/٣
	٦٣	٦/ت
	٦٥	٦/ت
	٧١	٥/ت
	٧٣	٥/ت
المؤمنون	١٣	٧/٥
	١٤-١٣	٤/٥
	١٧	٦/٣
	١٨	٨/٣,١/١
	٢١	٤/٤
	٤١	١٣/٥
	٦٨	١/ت
	٨٠	١/ت
	١١٥	١/ت
	١١٧	١/ت
	٢	٩/٦
النـــور	٣١-٣٠	٩/٦
	٣١	٩/٦
	٣٢	٩/٦
	٤٣	٧/٣
	٤٥	١/٤,٨/٣
الفرقـان	٢	١/١,٤/ت
	٣	٥/ت
	٣٣	١/ت
	٤٤-٤٣	١/ت
	٤٦-٤٥	٤/ت
	٥٣	٨/٣
	٥٥	٥/ت
	٦١	٧/٢,٦/٢
	٦٢	٦/ت
	٦٨	٩/٦

الآية		رقم
سورة	رقم	الموضوع
	٧٣	ت/١
الشعراء	٧–٨	ت/٦
	٧١–٧٤	ت/٢
	٩٢–٩٣	ت/٥
	١٦٥–١٦٦	١٠/٦
	١٩٦–١٩٧	٦/٩
	٢٢٤–٢٢٦	ت/٥
النمل	١٥–١٦	ت/٣
	١٦	٢/٤
	١٨–١٩	٢/٤
	٥٤–٥٥	١٠/٦
	٦٠	ت/٦
	٦٠–٦١	٥/٣,٦/ت
		٨/٣،
	٦٤	٢/١,١/ت
	٦٩	١/٩
	٨٦	٢/٣
	٨٨	٢/٣
	٩٣	١/١٠,١/ت
القصص	٣٨	٢/٨
	٤٩	١/١٠
	٨٥	٢/١٠
العنكبوت	١٩	٢/١
	٢٠	٢/٩
	٢١	١٠/٦
	٤٣	ت/٣
	٤٧	٦/٩
	٤٨	٦/٩

الآية		رقم
سورة	رقم	الموضوع
الروم	١–٦	٣/١٠
	٨	ت/١
	٩	١/٩
	١٩	٢/١
	٢١	٩/٦
	٢٢	ت/٦
	٢٤	ت/٦
	٤١	٤/١٠
	٤٢	١/٩
	٤٨	٧/٣
لقمان	٥–٧	٢/١٠
	١٠	٥/٣,١/٢
	١٤	٥/٦
	٢٠	ت/١
	٢١	ت/٢
	٢٩	٣/٣
	٣٤	٦/١٠,٣/٥
السجدة	٥	٤/٢
الأحزاب	٣٧	٥/٩
	٥٩	٩/٦
	٦٢	ت/٤
	٦٣	٦/١٠
	٧٢	٤/١٠
سبا	٢	٥/٨
	٦	ت/٣
	١٠–١١	١/٨
	٢٨	٦/٩
	٤٣	ت/٢
	٤٦	ت/١

الآية		رقم
سورة	رقم	الموضوع
فاطر	٩	٧/٣
	١١	٣/٥
	١٢	١٠/٣
	١٣	٣/٣
	٢٧	٤/٣
	٢٧–٢٨	ت/٦
	٤١	١/٢
	٤٣	ت/٤
	٤٤	١/٩
	٢٩	١٣/٥
يس	٣٣–٣٦	ت/٦
	٣٧	٢/٣
	٣٨	٦/٢
	٣٩	٧/٢
	٤٠	٢/٣,٢/٢
	٤٠–٤١	٤/٨
	٧١–٧٣	ت/٦
	٨٠	٣/٨
	٨١–٨٢	ت/١
الصافات	٥	٢/٣
	٦–١٠	٨/٢
	٦٩–٧٠	ت/٢
	٩٥–٩٦	ت/٥
	١٣٦–١٣٧	١/٩
	١٤٩–١٥٤	ت/٥
	١٥٨	ت/٥
ص	١٥	١٣/٥
	٢٧	ت/٤
	٢٩	ت/١
	٨٧/٨٨	١/١٠
الزمر	٥	٢/٣,١/٣
	٦	٥/٥
	٩	ت/٣

سورة الآية	رقم الآية	رقم الموضوع
	١٨–١٧	ت/١
	٢١	٨/٣
	٢٩–٢٧	ت/١
	٦٨	١٣/٥,٢/٢
	١٣	ت/٦
غافر	٤٧	ت/٢
	٥٦	ت/١
	٨٠–٧٩	ت/٦
	٨٢	١/٩
	١٠	٥/٣
فصلت	١١	٣/٢
	٤٧	٦/١٠,٣/٥
	٥٣	١/١٠
الشوري	١٧	٦/١٠
	٢٧	ت/٤
	٢٩–٢٨	ت/٦
	٢٩	٢/٢
	٣٣–٣٢	ت/٦
	٥٢	٦/٩,٥/٩
الزخرف	١١	١/١
	١٣–١١	ت/٦
	١٧–١٦	ت/٥
	٢٠–١٩	ت/٥
	٢٣–٢٢	ت/٢
	٦٦	٦/١٠
	٨٥	٦/١٠
الدخان	٣٩–٣٨	ت/٤
الجاثية	٥–٣	ت/٦
	١٣–١٢	ت/٦
	٢٣	ت/١
الأحقاف	٣	٢/٢
	٩	٦/٩ ،٥/٩

سورة الآية	رقم الآية	رقم الموضوع
	١٠	٦/٩
	١٥	٥/٦
	٢٨	ت/٥
محمد	١٨	٦/١٠
	٢٤	ت/١
الفتح	٣–١	٢/١٠
	٢٣	ت/٤
	٢٧	٢/١٠
ق	٦	٦/٣
	١١–٦	ت/٦
	٧	٥/٣
	٤٥	ت/١
الذاريات	٢٢–٢٠	ت/٦
	٤٧	٣/٢
	٤٩	٥/٤ ،٤/١
الطور	٣٤–٣٣	١/١٠
	٣٥–٣٤	ت/١
النجم	١٠–٣	٦/٩
	٢٣–١٩	ت/٥
	٢٨–٢٧	ت/٥
	٤٦–٤٥	٣/٥
القمر	١	٦/١٠
	١٧	ت/١
	٣١	١٣/٥
	٤٩	ت/١,٤/١
الرحمن	٥	ت/٤
	٧–٥	١/١
	٧	ت/٤
	١٢/١٠	ت/٦
	٢٠–١٩	٨/٣
	٢٢–١٩	١٠/٣
	٣٥–٣٣	٥/٨

سورة الآية	رقم الآية	رقم الموضوع
الواقعة	٧٠–٦٨	٨/٣
	٧٢–٧١	٣/٨
	٧٦–٧٥	٢/٢
الحديد	٤	٥/٨,٤/٣
	٦	٣/٣
	٢٥	١/٨
الحشر	٢١	ت/١
الصف	٦	٦/٩
	٨	٢/١٠
الطلاق	٤	٨/٦
الملك	٣	٦/٣
	٤–٣	٣/١
	٥	٨/٢
	١٥	ت/٦
	١٩	ت/٦
	٣٠	٨/٣
القلم	١	ت/٣
	٤٨	٥/٩
المعارج	٤–٣	٥/٨
	٤	٤/٢
	٤٠	٢/٣
نوح	١٤	٤/٥
	١٥	٦/٣
	١٦–١٥	٧/٢
	١٦	٧/٢,٦/٢
الجن	٩–٨	٨/٢
	٢٢	٥/٩
	٢٨–٢٧	٥/٩
المدثر	٢٦–١١	٢/١٠
القيامة	٤–٣	٩/٥
	١٨–١٦	٥/٩
	١٩–١٦	٦/٩

الآية سورة	رقم	رقم الموضوع
	٣٨-٣٧	٤/٥
	٣٩-٣٧	٣/٥
الإنسان	٢	١/٥
المرسلات	٢٧	٩/٣,٥/٣
النبأ	٧-٦	٥/٣
	١٦-٦	ت/٦
	١٢	٦/٣
	١٣	٦/٢
النازعات	٢٨-٢٧	٦/٣
	٣٠	٢/٣
	٣١-٣٠	٣/١,٣/٨،
		٣/١٠
	٤٤-٤٢	١٠/٦
عبس	١١-١	٩/٥
	٣٢-٢٤	ت/٦
التكوير	١	٦/٣
	٢-١	١٠/٦
	١١	١٠/٦
	١٦-١٥	٨/٢
الانفطار	١	٦/٣
	٢-١	١٠/٦
	٣	١٠/٦
الانشقاق	١	٣/٦,١٠/٦
البروج	١	٢/٢
	١٣	٢/١
الطارق	٤	١١/٥
	٧-٥	٢/٥
	١١	٦/٣
	١٢	٥/٣
الأعلى	٣-٢	ت/٤,٤/١
	٧-٦	٩/٥
الغاشية	٢٠-١٧	ت/٦

الآية سورة	رقم	رقم الموضوع
الفجر	٥	ت/١
الشمس	٤-١	٢/٣
الليل	١	٢/٣
التين	٥-٤	ت/٦
العلق	٥-١	ت/٣
	٢	٤/٥
الزلزلة	٢-١	٤/٣
المسد	٥-١	٢/١٠

(٢) كشاف الأحاديث النبوية

الحديث	رقم الموضوع
من علامات اقتراب الساعة	٥/١
من كان له شعر فليكرمه	٣/٧هـ
من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط	١٠/٦
المؤمن يأكل فى معى واحد	١/٦
نحن قوم لانأكل حتى نجوع	١/٦
نهى الرسول ﷺ عن الشرب فى القدح المشروخة	١/٧
وقّت لنا رسول الله ﷺ	٣/٧
يا أبا هريرة قلم أظافرك	٣/٧د
يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض	٩/٦
يا أم حبيبة إذا أنت فعلت فلاتنهكى	٣/٧و
يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة	٩/٦

(٣) كشاف اللغة للمصطلحات القرآنية

اللفظ	رقم الموضوع	اللفظ	رقم الموضوع
أجج :أُجاج	٨/٣	رتق: رَتْقا	٣/٢
الف : يؤلف	٧/٣	رجع: الرَّجْع	٦/٣
برج: بروج	٢/٢	رسي : رواسي	٥/٣
برد : بَرَد	٧/٣	ركم :رُكاما	٧/٣
برزخ: برزخ	٨/٣	زوج: زوج، زوجان	٤/١
بسط : يَبْسُطه	٧/٣	زود : ازدادوا	٥/٢
بضع: بِضْع	٣/١٠	سبح : يُسبِّحون	٢/٢
بنن: بنان	٩/٥	سرج: سِراج	٦/٢
ترب : ترائب	٢/٥	سرد: سَرْد	١/٨
ثري : الثَّري	٤/٣	سكر: سُكِّرت	٥/٨
ثقل: أثقالها	٤/٣	سلخ: نَسْلَخ	٢/٣
ثور: تُثير	١/٣	شفع: الشَّفْع	٥/١
جري : تجري	٦/٢	شقق : انشقَّت	٦/١٠,٦/٣
جلي : جلَّاها	٢/٣	صدع: الصَّدْع	٥/٣
جمد : جامدة	٢/٣	صلب : الصُّلْب	٢/٥
حجر: حِجْر محجور	٨/٣	ضوء: ضِياء	٦/٢
حرج: حَرَجا	٥/٨	طبق: طِباقا	٦/٣
حسب : حُسْبان	١/١	طرق : طَرائق	٦/٣
حسر: حسير	٣/١	طوي : نَطْوى	٣/٢
خسأ : خاسئا	٣/١	عرج: يَعْرُج	٥/٨
خلق: مُخَلَّقة	٤/٥	علق: عَلَق، عَلَقة	٤/٥
دحو: دحاها	٣/١و٣/٢	غشي : يَغْشَي	٢/٣
ربو : ربت	١١/٣	فتق: فتقْناهما	٣/٢

فهرس الموضوعـات

المراجـــع

أولاً : مراجع التحقيق

١ – لسان العرب لابن منظور – دار المعارف – (يشار إليه : اللسان) .

٢ – الصحاح : تاج اللغة وصحاح العربية للجوهرى – تحقيق عبد السلام هارون وأحمد عبد الغفور عطار – دار المعارف .

٣ – المعجم الوسيط – مجمع اللغة العربية بالقاهرة – (يشار إليه : الوسيط) .

٤ – المعجم الوجيز – مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

٥ – معجم ألفاظ القرآن الكريم – مجمع اللغة العربية بالقاهرة – ط ٣ – ١٩٩٠ .

٦ – المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم – محمد فؤاد عبد الباقى – دار الحديث – ١٩٨٧ .

٧ – المنتخب فى تفسير القرآن الكريم – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – ط ١١ – ١٩٨٥ – (يشار إليه : المنتخب) .

٨ – صفوة التفاسير – محمد على الصابونى – دار القرآن الكريم ببيروت – ١٩٨١ (يشار إليه : الصفوة) .

٩ – فى ظلال القرآن – سيد قطب – دار الشروق – ١٩٧٧ – (يشار إليه : الظلال) .

١٠– المصحف المفسر – محمد فريد وجدى – دار الشعب – (يشار إليه : المفسر) .

١١– مختصر تفسير ابن كثير – محمد على الصابونى – دار القرآن الكريم ببيروت – ١٩٨١ .

ثانيًا : مصادر الموضوعات :

١ – أبو بكر الجزائرى « عقيدة المؤمن » – دار الكتب السلفية .

٢ – أحمد الحوفى « معانى السماء والأرض فى القرآن » – مؤسسة الخليج العربى بالقاهرة – ١٩٨٧ .

٣ – أحمد ديدات «هل الكتاب المقدس كلام الله»

أ – ترجمة إبراهيم خليل أحمد – دار المنار – ١٩٨٩ .

ب – ترجمة نورة أحمد النومان – المختار الإسلامى .

٤ – أحمد ديدات «أيهما كلام الله؟ القرآن الكريم أم الكتاب المقدس» – ترجمة محمد مختار – المختار الإسلامى – ١٩٩٤ .

٥ – أحمد ديدات «القرآن الكريم والكتاب المقدس تحت المجهر» – ترجمة محمد مختار – المختار الإسلامى – ١٩٩٣ .

٦ – أحمد ديدات «الخمر بين المسيحية والإسلام» – ترجمة محمد مختار – المختار الإسلامى – ١٩٩١ .

٧ – أحمد ديدات «ماذا يقول الكتاب المقدس عن محمد ﷺ» – ترجمة إبراهيم خليل أحمد – دار المنار – ١٩٨٩ .

٨ – أحمد ديدات «محمد ﷺ الخليفة الطبيعى للمسيح» – ترجمة رمضان الصفناوى – المختار الإسلامى – ١٩٩١ .

٩ – أحمد ديدات «القرآن معجزة المعجزات» :

أ – ترجمة نبيل عبد السلام هارون – مكتبة القرآن – ١٩٩٢ .

ب – ترجمة – المختار الإسلامى – ١٩٩٢ .

١٠– أحمد ديدات «المسيح فى الإسلام» :

أ – ترجمة على الجوهرى – دار الفضيلة – ١٩٩٠ .

ب – ترجمة محمد مختار – المختار الإسلامى – ١٩٩٠ .

١١– أحمد ديدات، بعنوان :

أ – «مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء» – ترجمة على الجوهرى – دار الفضيلة – ١٩٨٩ .

ب – «وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم» – ترجمة رمضان الصفناوى – المختار الإسلامى – ١٩٩١ .

١٢- أحمد شلبى « مقارنة الأديان » - (١) اليهودية، (٢) المسيحية - النهضة المصرية ط ٩ - ١٩٩٠ .

١٣- أحمد طاهر « الأناجيل - دراسة مقارنة » - دار المعارف - ١٩٩١ .

١٤- أحمد طه « الطب الإسلامى » - دار الاعتصام.

١٥- بديع الزمان سعيد النورسى « إشارات الإعجاز فى مظان الإيجاز » - ١٩٧٤ .

١٦- توفيق علوان « معجزة الصلاة فى الوقاية من مرض دوالى الساقين » - دار الوفاء - ١٩٨٨ .

١٧- جمال الدين حسين مهران « آيات من الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم » - الأنجلو المصرية - ١٩٩٢ .

١٨- حسن عز الدين الجمل « الحمل والروح فى القرآن » .

١٩- حسين نصار - « الإنباء بالغيب فى الإعجاز القرآنى » - الهيئة العامة للكتاب - ١٩٩٤ .

٢٠- رشدى فكار « لمحات عن منهجية الحوار والتحدى الإعجازى للإسلام فى هذا العصر » - مكتبة وهبة - ١٩٨٢ .

٢١- سليمان عمر قوش « الاكتشافات العلمية الحديثة ودلالتها فى القرآن والدين » - الحرمين بقطر - ١٩٨٧ .

٢٢- سليمان عمر قوش « حكمة وأسباب تحريم لحم الخنزير فى العلم الكريم » - المختار الإسلامى.

٢٣- السيد الجميلى « الإعجاز الطبى فى القرآن » - دار التراث العربى - ١٩٨٠ .

٢٤- السيد الجميلى « الإعجاز العلمى فى القرآن » - دار الفكر اللبنانى.

٢٥- السيد الجميلى « الإعجاز الفكرى فى القرآن » - ابن زيدون ببيروت.

٢٦- السيد الجميلى « الإعجاز الكونى فى القرآن » - دار زاهد القدسى - ١٩٨٨ .

٢٧- السيد سابق « فقه السنة » - دار الفكر ببيروت - ١٩٧٨ .

٢٨- شارل جنبيير « المسيحية نشأتها وتطورها » ترجمة عبد الحليم محمود - دار

المعارف – ١٩٨٥ .

٢٩– شافع توفيق محمود « صور من عقائد أهل الأرض » – المركز العربى للنشر والتوزيع – ١٩٨٥ .

٣٠– شهاب الدين أحمد بن إدريس الخرافى « الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة » تحقيق مجدى محمد الشهاوى – مكتبة القرآن – ١٩٩٢ .

٣١– صدقى البيك « معجزة القرآن العددية » – مؤسسة علوم القرآن – ١٩٨١ .

٣٢– طاهر توفيق « القرآن والإعجاز فى خلق الإنسان » – دار النصر – ١٩٨٨ .

٣٣– عادل طه يونس « حياة الأنبياء بين حقائق التاريخ والمكتشفات الأثرية الجديدة » – مكتبة القرآن – ١٩٩٠ .

٣٤– عبد الحليم كامل « وفى أنفسكم أفلا تبصرون : هذا خلق الله » – دار المريخ بالرياض – ١٩٨٤ .

٣٥– عبد الحميد عبد العزيز « الطب والإسلام، جـ ١–٣ » – أخبار اليوم – ١٩٨٨، ١٩٨٩، ١٩٩٠ .

٣٦– عبد الحميد عبد العزيز « الإعجاز الطبى فى القرآن الكريم، تأملات طبية حول ١٠ آيات قرآنية » – ابن سينا – ١٩٩٢ .

٣٧– عبد الحميد محمود طهماز « المعجزة والإعجاز فى سورة النمل » – المنارة ببيروت – ١٩٨٧ .

٣٨– عبد الرحمن دمشقية « الكتاب المقدس يتكلم » (مترجم) – دار المنارة – ١٩٩٤ .

٣٩– عبد السلام محمد هارون « الألف المختارة من صحيح البخارى » – دار الجيل – ١٩٩١ .

٤٠– عبد العال الحمامصى « القرآن معجزة كل العصور، وموضوعات أخرى » – دار المعارف – ١٩٨٧ .

٤١– عبد العزيز سيد الأهل « من إشارات العلوم فى القرآن الكريم » – النهضة الحديثة ببيروت .

٤٢ – عبد العليم عبد الرحمن خضر « الإنسان فى الكون بين القرآن والعلم » – عالم المعرفة – ١٩٨٣ .

٤٣ – عبد العليم عبد الرحمن خضر « الطبيعيات والإعجاز العلمى للقرآن الكريم » – الدار السعودية – ١٩٨٦ .

٤٤ – عبد العليم عبد الرحمن خضر « الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن » – الدار السعودية ط ٣ – ١٩٨٧ .

٤٥ – عبد العليم عبد الرحمن خضر « الماء والحياة بين العلم والقرآن » – الدار السعودية – ١٩٨٥ .

٤٦ – عبد العليم عبد الرحمن خضر « المنهج الإيمانى للدراسات الكونية » – الدار السعودية – ١٩٨٧ .

٤٧ – عبد الغنى محمد بركة « الإعجاز العلمى، وجوهه وأسراره » – مكتبة وهبة – ١٩٨٩ .

٤٨ – عبد الله شحاتة « تفسير الآيات الكونية » – دار الاعتصام – ١٩٨٠ .

٤٩ – عبد المجيد الزندانى وآخرون « الإيمان » – دار القلم بدمشق ط٣ – ١٩٨٤ .

٥٠ – عبد المجيد الزندانى «آيات الله فى الآفاق » إعداد محمد إبراهيم سليم – مكتبة القرآن – ١٩٩٣ .

٥١ – عبد المجيد الزندانى « الإسلام أو الضياع » – إعداد محمد إبراهيم سليم – مكتبة القرآن – ١٩٩٣ .

٥٢ – عبد المجيد الزندانى « يا أبناء الإسلام دينكم دين الحق وكل آية فى القرآن إعجاز » – إعداد محمد إبراهيم سليم – دار القرآن – ١٩٩٣ .

٥٣ – عبد المجيد الزندانى « أنه الحق » – شريط فيديو – هيئة الإعجاز العلمى فى القرآن والسنة .

٥٤ – عبد المحسن صالح « من كل شئ موزون » – دار عكاظ –١٩٨٤ .

٥٥ – عبد المحسن صالح « ومن كل شئ خلقنا زوجين » – دار عكاظ – ١٩٨٤ .

٥٦- عبد المنعم محمد خلاف « العقل المؤمن - أو الدين عن طريق الفكر » - دار الكتاب العربى - ١٩٥١ .

٥٧- عبد المنعم السيد العشرى « تفسير الآيات الكونية فى القرآن الكريم » - الهيئة العامة للكتاب - ١٩٨٥ .

٥٨ - عبد الوهاب خلاف « علم أصول الفقه » - الدار الكويتية - ط ١٠ - ١٩٨٤ .

٥٩- فتحى رضوان « الإسلام ومشكلات الفكر » - دار المعارف - ١٩٧٣ .

٦٠- كارم السيد غنيم - « الإشارات العلمية فى القرآن الكريم بين الدراسة والتطبيق » - دار الفكر العربى - ١٩٩٤ .

٦١- مازن فروخ « الإسلام والعلم » - دار الرشاد الإسلامية - ١٩٨٧ .

٦٢- مجد متبولى غريب « إشارات هندسية فى القرآن الكريم » - دار المجد للدراسات الهندسية - ١٩٩١ .

٦٣- محمد أبو زهرة « المعجزة الكبرى القرآن » - دار الفكر العربى - ١٩٧٠ .

٦٤- محمد أحمد الغمراوى « الإسلام فى عصر العلم » - دار الإنسان ط ٤ - ١٩٩١ .

٦٥- محمد جلال كشك « خواطر مسلم حول : الجهاد، الأناجيل، الأقليات » - دار ثابت ط ٢ - ١٩٨٥ .

٦٦- محمد جمال الدين الفندى « الإسلام وقوانين الوجود » - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٨٢ .

٦٧- محمد جمال الدين الفندى « الإسلام والكون » جـ ١ - الشرق الأوسط - ١٩٩٠ .

٦٨- محمد جمال الدين الفندى « قصة السموات والأرض » - كتاب الشعب - ١٩٦٨ .

٦٩- محمد حسن الحمصى « النحلة تسبح الله » - دار الرشيد ط ٩ - ١٩٨٩ .

٧٠- محمد رشاد الطوبى « وبث فيها من كل دابة » - دار المعارف - ١٩٨٨ .

٧١- محمد رشاد الطوبى « وجعلنا من الماء كل شئ حى » - دار المعارف - ١٩٨٥ .

٧٢- محمد رشاد الطوبى « وفى أنفسكم أفلا تبصرون » - دار المعارف - ١٩٨٥ .

٧٣- محمد سعدى المقدم « شواهد العلم فى هدى القرآن » - ١٩٥٠ .

٧٤- محمد سعيد رمضان البوطى « كبرى اليقينيات الكونية » - دار الفكر ط٨ - ١٩٨٦ .

٧٥- محمد سويد « الإسلام ودعوة الحق » - رابطة العالم الإسلامى - ١٩٨٧ .

٧٦- محمد السيد أرناؤوط « الإعجاز العلمى فى القرآن » - مكتبة مدبولى - ١٩٨٩ .

٧٧- محمد السيد الداودى « معجزة الأرقام فى القرآن الكريم » - دار الكتاب المصرى - ١٩٨٦ .

٧٨- محمد الصرايرة « آيات للموقنين » - مكتبة المنار - ١٩٨٥ .

٧٩- محمد عادل أبو الخير « اجتهادات فى التفسير العلمى فى القرآن الكريم » - مطبعة أبو الخير - ١٩٨٨ .

٨٠- محمد عبد الرزاق نوفل « الله والعلم الحديث » - دار الشروق - ١٩٩٠ .

٨١- محمد عبد الرزاق نوفل « القرآن والعلم الحديث » - دار الشعب ط ٦ - ١٩٨٢ .

٨٢- محمد عبد الرزاق نوفل « معجزة الأرقام والترقيم فى القرآن » .

٨٣- محمد عبد القادر الفقى « الإعجاز العلمى للقرآن الكريم فى علم المعادن » - بحث مقدم إلى دار المجد للدراسات الهندسية .

٨٤- محمد عبد القادر الفقى « القرآن الكريم وتلوث البيئة » - مكتبة المنار الإسلامية - ١٩٨٥ .

٨٥- محمد عبد المنعم خفاجى « القرآن معجزة كل العصور » - الهيئة العامة للكتاب - ١٩٨٨ .

٨٦- محمد عثمان الخشت « لماذا أسلمت » - مكتبة القرآن - ١٩٨٦ .

٨٧- محمد عزت الطهطاوى « محمد نبى الإسلام فى التوراة والإنجيل والقرآن » -

مكتبة النور – ١٩٨٦ .

٨٨– محمد عفيفى الشيخ « القرآن الكريم وعلوم الغلام الجوى » – الشرق الأوسط .

٨٩– محمد على البار « خلق الإنسان بين الطب والقرآن » – الدار السعودية .

٩٠– محمد على البار « الخمر بين الطب والفقه » – الدار السعودية .

٩١– محمد على البار « العدوى بين الطب وحديث المصطفى ﷺ » – الدار السعودية – ١٩٨١ .

٩٢– محمد على البنبى « نحل العسل فى القرآن والطب » – الأهرام – ١٩٨٧ .

٩٣– محمد الغزالى « الطريق من هنا » – دار البشير – ١٩٨٧ .

٩٤– محمد فؤاد شاكر « من إعجاز السنة المشرفة » – دار النيل للطباعة – ١٩٩٥ .

٩٥– محمد كامل عبد الصمد « الإعجاز العلمى فى الإسلام : جـ ١ القرآن الكريم، جـ ٢ السنة النبوية » – الدار المصرية اللبنانية – ١٩٩٠ .

٩٦– محمد كمال عبد العزيز « إعجاز القرآن فى حواس الإنسان » – مكتبة القرآن – ١٩٨٧ .

٩٧– محمد كمال عبد العزيز « إعجاز القرآن فى خلق الإنسان » – ابن سينا – ١٩٩٠ .

٩٨– محمد كمال عبد العزيز « لماذا حرم الله هذه الأشياء؟ لحم الخنزير – الميتة – الدم، نظرة طبية فى محرمات القرآن » – مكتبة القرآن – ١٩٨٧ .

٩٩– محمد متولى الشعراوى « معجزة القرآن » – أخبار اليوم – ١٩٧٧ .

١٠٠– محمد محمود إسماعيل « الإشارات العلمية فى الآيات الكونية فى القرآن الكريم » – دار الدعوة بالإسكندرية – ١٩٩٠ .

١٠١– محمد وصفى « المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام » – دار الفضيلة – ١٩٩٢ .

١٠٢– محمود دياب « الإعجاز الطبى فى القرآن الكريم » – دار الشعب « عربى / إنجليزى » – ١٩٨٨ .

١٠٣- مصطفى حسين « مع القرآن فى الكون إعجاز أم هداية » - مطبعة حسين بالأردن - ١٩٨٧ .

١٠٤- مصطفى الصاوى الجوينى « جماليات المضمون والشكل فى الإعجاز القرآنى » - منشأة المعارف - ١٩٨٣ .

١٠٥- مصطفى محمود « حوار مع صديقى الملحد » - روز اليوسف - ١٩٧٤ .

١٠٦- مصطفى الدباغ « وجوه الإعجاز القرآنى » - مكتبة المنار بالأردن - ١٩٨٥ .

١٠٧- ممدوح جاد « المسيح فى الإنجيل بشر » - المطبعة الفنية - ١٩٩٣ .

١٠٨- منصور محمد حسب النبى « القرآن الكريم والعلم الحديث » - الهيئة العامة للكتاب « عربى / إنجليزى » - ١٩٨٩ / ١٩٩٠ .

١٠٩- منظمة الصحة العالمية « أحكام الذبح والذبائح » - ١٩٨٨ .

١١٠- منظمة الصحة العالمية « الماء والإصحاح فى الإسلام » - ١٩٨٨ .

١١١- منظمة الصحة العالمية « دور الدين والأخلاق فى منع ومكافحة الإيدز » - ١٩٩٢ .

١١٢- موريس بوكاى « القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة » - دار المعارف - ١٩٨٢ .

١١٣- موريس بوكاى « القرآن والعلم الحديث » ترجمة نبيل عبد السلام هارون - دار الطلائع - ١٩٩٣ .

١١٤- موسى الخطيب « من دلائل الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم والسنة النبوية » - مؤسسة الخليج العربى - ١٩٩٤ .

١١٥- نادية محمد عثمان « إعجاز القرآن الكريم فى علمى الأجنة والأطفال » - كلية البنات الإسلامية - ١٩٨٧ .

١١٦- نبيل عبد السلام هارون « كشاف الإعجاز العلمى فى القرآن والسنة » - ابن سينا - ١٩٩١ .

١١٧- نبيل عبد السلام هارون « ماهو بقول بشر » - ابن سينا - ١٩٩١ .

١١٨- نبيل عبد السلام هارون « لا إله إلا الله محمد رسول الله - الشهادتان فى التوراة والإنجيل والقرآن » - دار الطلائع - ١٩٩٣ .

١١٩- نظمى خليل أبو العطا « إعجاز النبات فى القرآن الكريم » - مكتبة النور - ١٩٨٧ .

١٢٠- نعمت صدقى « معجزة القرآن » - دار الاعتصام - ١٩٧١ .

١٢١- هيئة الإعجاز العلمى فى القرآن والسنة « تأصيل الإعجاز العلمى فى القرآن والسنة » - ١٩٨٧ .

١٢٢- هيئة الإعجاز العلمى فى القرآن والسنة « أبحاث فى العدوى والطب الوقائى - من المؤتمر العالمى الأول للإعجاز، ١٨-٢١ أكتوبر ١٩٨٧ » .

١٢٣- وحيد الدين خان « الإسلام يتحدى » - دار البحوث العلمية بالكويت - ١٩٧٠ .

١٢٤- يحيى محمد على ربيع « الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف » - دار الوفاء - ١٩٩٤ .

١٢٥- يحيى ناصر خواجى وأحمد أبو الوفا « الإعجاز العلمى للقرآن الكريم » - جامعة الملك فيصل .

١٢٦- اليونيسيف، منظمة الأمم المتحدة للطفولة « عوامل الثقافة الاجتماعية المؤثرة فى انتشار أمراض الإسهال بالمناطق الريفية فى صعيد مصر » - ١٩٩١ .

مراجع أجنبية :

127- "Breastfeeding for Child survival strategy"; USAID, 1990.

128- "Breastfeeding, weaning and nutrition, the behavioural issues" , Ann Brownlee, USAID, 1990.

129- "Echos of the big-bang", Time Magazine, May 4, 1992.

130- "Encyclopedia Americana",Grolier Inc., 1992

131- "Encyclopedia Britannica".

132- "Golden age of cosmology", Scientific American, July 1992, p. 17-19,22.

133- "Guinness Encyclopedia", Guinness, 1990
134- "It is about time (Alcoholism)", Forbes, July 27, 1987.
135- "Lactation education for health professionals", Rosalia Rodriguez-Garcia, Pan American Health Organization, 1990.
136- "Natural family planning - Current knowledge and new strategies for the 1990s - Proceedings of a conference", American Journal of Gynecology and Obstetrics, 1991.
137- "An advanced Quranic metal-matrix composite", M. Gouda, Al-Azhar Engineering 3rd International Conference, Dec. 18-21, 1993.

المحتويات